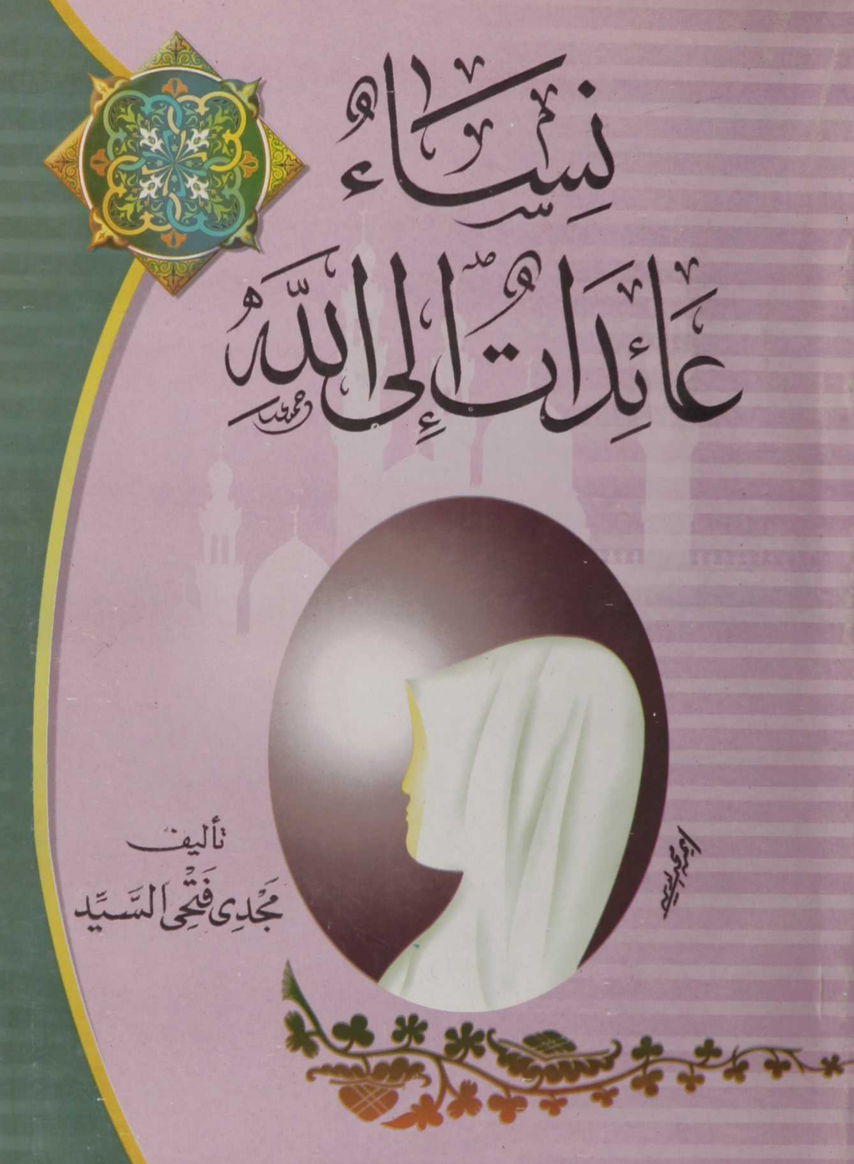

نساء
عائدات إلى الله
تأليف
مجدي فتحي السيد
المكتبة التوفيقية

نساء عائدات إلى الله

تأليف

مجدى فتحى السيد



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
٥٩٠٤١٧٥ ٥٩٢٢٤١٠

المكتبة التوفيقية

القاهرة – مصر
العنوان: أمام الباب الأخضر – سيدنا الحسين
تليفون: ٥٩٠٤١٧٥ – ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس: ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo-Egypt

Add.: In Fornt of the Green Door Of El Hussen
Tel. : (٠٠٢٠٢) ٥٩٠٤١٧٥ _ ٥٩٢٢٤١٠
Fax : ٦٨٤٧٩٥٧

إشراف
توفيق شعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله . . .

نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

إنه من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣].

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

ثم أما بعد. . . فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

فهذه صفحات فيها دعوة إلى نساء العالم بالعودة، والرجوع إلى الله تعالى من الكفر إلى الإيمان، ومن المعاصى إلى الطاعات.

فأسأل الله التوفيق والسداد، وحسبى أن الله تعالى يعلم ما فى الصدور، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

بين يدى الكتاب

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد..

كل منا له ذنوب وعيوب، وآثام، وخطايا، ولكن هل يدعونا ذلك إلى أن نقنط من رحمة الله؟!

وهل نيأس من مغفرته؟! لا والله، فربنا سبحانه وتعالى يدعونا إلى العودة إلى طاعته مهما بلغت ذنوبنا، فلو بلغت ذنوبنا عنان السماء ثم استغفرنا الله غفر لنا.

فالعودة: الرجوع، عاد إليه يعودُ عودةً وعَوْدًا: رجع، فالعائدات إلى الله، الراجعات إلى الله بالتوبة النصوح.

والعائدات إلى الله من اللواتى دخلن إلى الإسلام، فتركن الكفر إلى الإيمان، والشرك إلى التوحيد.

والعائدات إلى الله من العاصيات من المسلمات، اللواتى عرفن طريق العودة إلى الله من المعاصى إلى الطاعات، ومن الغفلة إلى الاجتهاد.

أختى المسلمة..

قد آن لك أن تعودى، وإلى ربك تتوبى.

ويا من قسا قلبها، حتى صار أقسى من الحجارة، عودى إلى الله عودًا جميلاً.

ويا من كثرت ذنوبها، وارتفعت معاصيها إلى عنان السماء، عودى إلى الله عودًا جميلاً.

فقد وصف الله تعالى النساء الخيرات بالكثير من الصفات الطيبة، فقال -جل شأنه-:

﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[١].

﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ أى: مخلصات، ومسلمات لأمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ بمعنى: خاضعات،

﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾: مصدقات بما أمرن به، ونُهين عنه من قِبل الله تعالى ورسوله ﷺ.

﴿قَانِتَاتٍ﴾: مطيعات، فالقنوت بمعنى: الطاعة.

﴿تَائِبَاتٍ﴾ أى: من ذنوبهن، وقيل: أى راجعات إلى ما يحبه الله منهن من طاعته عما يكرهه منهن.

﴿عَابِدَاتٍ﴾: أى كثيرات العبادة لله تعالى، ومتذللات لله بطاعته.

﴿سَائِحَاتٍ﴾ أى: صائمات.

﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ أى: منهن ثيبٌ، ومنهن بكرٌ، والثيب من تزوجت من قبل، وأما البكر فهى العذراء، وسُمِّيت بكرًا، لأنها على أول حالتها التى خُلقت عليها.

فمع العائدات إلى الله نقرأ سويًّا فى صفحات هذا الكتاب، سائلاً العلى القدير التوفيق والسداد، وإنه على كل شيءٍ قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أبو مريم / مجدى فتحى السيد

---

(١) سورة التحريم: ٥.

من كلمات العائدات إلى الله

«الإسلام زودني بما كنت أفتقده، وكشف لي مغزى الحياة، ووهبني راحة البال، وأحسست بقيم روحية في ظل الإسلام هائلة وكبيرة».

(باتريشيا الأمريكية)

«الإسلام أجاب عن كل تساؤلاتي، إنني أحيا الآن بالإسلام في سلامٍ ورضا، إنني أرى النور الذي يدلني على الطريق لأطمع في أكثر من أن يُثبتني الله على الإيمان».

(الليدي إيفيلين الإنجليزية)

«رسم الإسلام الطريق السليم التي بدونها ينحرف الإنسان بسلوكه إلى الضلال، الإسلام حقق لي الحب والعطف والحنان».

(فاطمة هيرين الألمانية)

«أعطاني الإسلام ثقة كبيرة في التعامل مع الناس».

(فاطمة كازو اليابانية)

«الإسلام ينقي الروح لتصبح خالية من الأهواء الذاتية».

(سيسيليا كانولي الأسترالية)

«اقتنعت أن الإسلام هو الدين الحق الذي أرتضيه، ومن دواعي اطمئناني أن قررت اتباع دين الإسلام.

(أمينة موسلر الألمانية)

«أردت أن أنتزع نفسى من هذا التـفكك والضياع، فهدانى الله سـبحانه وتعالى إلى الإيمان، وأشرق نور الإسلام فى قلبى».

(ديانا سميث الأمريكية)

«أعلنت إيمانى، واعتناقى للإسلام لا عن عـاطفةٍ خاطفة إنما عن اقتناع كاملٍ، ودراسة واعية طويلة».

(مافيزب جولى الإنجليزية)

عودة سيسيليا كانولى إلى الله

لماذا دخلت إلى الإسلام؟ هذا هو السؤال التقليدى الذى يقال لكل مَنْ دخل فى الإسلام واتخذه دينًا، ولكن سيسيليا الأسترالية تجيب قائلة:

أولاً: قبل كل شيءٍ أود أن أقول إننى أسلمت لأننى كنت فى قرارة نفسى مسلمة دون أن أعلم ذلك منذ حداثة سنى كنت قد فقدت الإيمان بالمسيحية لأسبابٍ كثيرة، أهمها:

أننى ما سألت مسيحيًّا عن أى شيءٍ يبدو لى غامضًا فى تعاليم الكنيسة إلا تلقيت الجواب التقليدى ليس لك أن تناقشى تعاليم الكنيسة، ويجب أن تؤمنى بها.

وفى ذلك الوقت لم تكن عندى الشجاعة الكافية لأقول لهم: إننى لا أستطيع الإيمان بشيءٍ لا أعقله.

وكان كل ما فعلتُ أنى هجرتُ الكنيسة -الرومانية- وتعاليمها، وركزت إيمانى فى الإله الواحد الحق لأن الإيمان به أيسر على النفس من الإيمان بثلاثة آلهةٍ.

وكنت حينما توجهت بوجهى أجد آيات الله فى خلقه، وكنت مثل غيرى ممن يفوقوننى عقلاً وذكاء عاجزة عن فهم المعجزات التى تقع تحت بصرى.

كنت أقف أتأمل كل هذا الإبداع فى خلق الله: الأشجار، الأزهار، الأطيار، الحيوانات، حتى الطفل الوليد أصبحت أحس أنه معجزةٌ رائعةٌ جميلة، وليس كما كانت الكنيسة تصوره لنا.

تذكرت كيف أننى كنت فى صغرى إذا نظرت إلى طفلٍ حديث الولادة

تصورته: «مغطى بسواد الخطيئة» أما الآن فلم يعد للقبح مكان فى خيالى، بل لقد أصبح كل شيءٍ أمامى جميلاً.

وذات يومٍ عادت ابنتى إلى المنزل، ومعها كتابٌ عن الإسلام أثار اهتمامنا بهذا الدين، حتى أتبعناه بقراءة كتب كثيرة أخرى، وسرعان ما أدركنا أن الإسلام هو نفس العقيدة التى كنا نؤمن بها.

وبعد طول قراءةٍ ودراسة قررتُ وابنتى أن نعتنق الإسلام، وتسمينا باسم: رشيدة، ومحمودة، ولو أن أحدًا سألنى عن أهم جانبٍ فى الإسلام اجتذبنى لأجبت إنها الصلاة، لأن الصلاة فى المسيحية لا تعدو أن تكون دعاءً لله بواسطة المسيح عيسى ليمنحنا خير الدنيا.

أما فى الإسلام فهى ثناء من الله، وتحميدٌ له على كافة نعمه، لأنه العليم بما ينفعنا، ويمنحنا ما يلزمنا دون أن نسأله من ذلك شيئًا[١].

عودة فاطمة كازو اليابانية إلى الله

تقول فاطمة كازو اليابانية: منذ الحرب العالمية الثانية كنت أراقب فى قلقٍ، ذلك التدهور السريع فى إيماننا بديننا، إذ بدأنا نألف الحياة الأمريكية، وكنت أحس فى أعماق نفسى أن شيئًا ما قد فقدناه، على أننى بادئ الأمر لم أستطع أن أحدد كنه ذلك الشيء، وكانت روحى تستصرخنى لأضع حدًّا لهذا القلق.

وكان من حسن حظى أن أتعرف إلى رجلٍ مسلمٍ يُقيم فى «طوكيو» منذ حين، وكان سلوكه، وطريقته فى العبادةُ يثيران دهشتى، فسألته عن أمورٍ كثيرة، كانت إجاباته عنها شافية، مُقنعة، تُشبع العقل والروح معًا.

لقد علمنى كيف يجب على الإنسان أن يحيا وفق الحدود التى أرادها

---

(١) لماذا أسلمنا (ص/ ١٣٤) مترجم.

الله تعالى، وما كان يدور فى خلدى قط من قبل أن تتغير نظرة الإنسان إلى الحياة بمثل تلك السرعة الهائلة التى رأيتها فى ذات نفسى عندما نهجت سبيل الحياة الإسلامية، وشعرت أننى على وئامٍ مع خالقى[1].

ونكمل المسير مع فاطمة كازو التى تقول: لقد علمنى هذا المسلم كثيرًا مما يؤمن به المسلم، ومما يؤديه من عبادة، وإننى لتستهوينى طريقة الحياة الإسلامية فى صفائها، وبساطتها، وانطباعها بالسلام.

انظر إلى تحية المسلم: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

إنها دعاءٌ للسلام من عند الله، ودعاءٌ بالسعادة الأبدية، وشتان ما بين هذه التحية، وغيرها من: «صباح الخير» و«مساء الخير».

تلك التحيات المادية والموقوتة بتمنى الخير صباحًا ومساءً، ليس فيها معنى الرجاء الدائم، وليس فيها دعاء لله نستمطر به رحمته وبركاته.

إننى مقتنعة تمامًا بأن الإسلام هو وحده الكفيل بالأمن والطمأنينة فى حياة الأفراد والجماعات على السواء، وأنه هو وحده الذى يقدم للبشرية السلام الحقيقى، الذى طال سعيها، وتشوقها إليه.

ويسعدنى أننى وُفِّقت إلى هذا السلام، وكم أتمنى لو استطعت أن أنشر الإسلام بين قومى ما وجدت إلى ذلك سبيلاً.

ونكمل المسير مع النساء العائدات إلى الله تعالى، ومن الله عز وجل العون والسداد.

عودة مسعودة ستينمان الإنجليزية إلى الله

«مسعودة ستينمان» امرأة عرفت طريق العودة إلى الله تعالى، فتركت النصرانية، ودخلت فى الإسلام، تقول:

(١) لماذا أسلمنا (ص/ ١٣٧).

لا أعرف دينًا آخر يقبله العقل، ويجذب الناس إليه، وله من المؤمنين به مثل هذه الجموع الضخمة، ويبدو لى أنه ما من طريقٍ أقرب منه إلى الاقتناع العقلى، والرضا فى الحياة؛ ولا أعظم منه أملاً للنجاة فى الآخرة.

لماذا أرى الإسلام أكمل الأديان؟

أولاً وقبل كل شىء، إن هذا الدين يهدينا إلى معرفة الخالق الواحد:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

وفى مواضع كثيرة يذكرنا القرآن بوحدانية الخالق الأحد، الذى لا تدركه الأبصار، العليم، القادر، القاهر، الأول، والآخر، الدائم، الرؤوف، الرحمن، الرحيم، العفو، الغفور، الحكم، العدل.

وهكذا يصبح الكمال حقيقة، ثم نجدنا مطالبين فى مواضع كثيرة من القرآن بإحكام الصلة بين الخالق وبيننا، يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٣).

فالإسلام يرشدنا إلى طريق تحقيق الصلة السليمة بين الخالق والمخلوقات، وبذلك يتحقق الربط الوثيق بين الجانبين المادى والروحى، وهو ما يُحقق التوازن بين قوتنا الذاتية، والقوة الخارجة عن إرادتنا، وهذا بدوره يُحقق الرضا والطمأنينة فى قرارة أنفسنا، وليس هناك ما هو أقوى أثرًا من هذا العنصر الهام فى الانسجام بين أى كائنٍ حى وغيره، وبدون ذلك لا تستطيع البشرية السير بخطواتٍ ثابتة فى طريق.

---

(١) سورة الإخلاص: ١ - ٤.

(٢) سورة هود: ٤.

(٣) سورة الحديد: ١٧.

فالإسلام يدعونا إلى تقديس الله عـز وجل، وأن نخضع لشريعته، وفى ذات الوقت يدعونا، بل ويشـجعنا على استعـمال العقل مع مراعـاة عواطف الحب، والتفاهم جنبًا إلى جنبٍ.

ويقول الله فى القرآن، وهو رسالة الخالق إلى جميع خلقه على اختلاف أجناسهم، وأممهم، ومكانتهم فى المجتمع(١):

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾(٢).

وهكذا تمضى مسعودة ستينمان الإنجليزية فى ركاب النساء العائدات إلى الله تعالى.

عودة باتريشيا الأمريكية إلى الله

«باتريشيا» سـيدة أمريكية عاشت فى بلد الحضـارة، وقمة المدنية، رأت بعينها استعلاء المادية، وانتقلت قبل عودتها إلى الله من المسيحية إلى اليهودية، ولكن كيف كانت البداية؟

تقول باتريشـيا الأمريكيـة وُلدت لأب كاثوليكى، وأم يهـودية، وكانت نشأتى فقيرة، عانيت فيها من الحرمان مبكرًا، لكثرة خلافات أبى وأمى اللذين انفصلا وتركانى.

ولكن -ومن خلالهـما- استطعت التـعرف على ماهية الدين المسـيحى والإنجيل، ومـاهية الدين اليـهودى والتـوراة، واستقـر عقلى على أشـياء لم يستطع أن يتقبلها فى هذين الكتابين.

ووجدت أن عقلى وروحى يقفان فى منتصف الطريق بينهما، وكنت فى ذلك الوقت صغـيرة جدًا، واضطررت للعمل، وأنا فى هذه السن بحـثًا عن

---

(١) لماذا أسلمنا (ص/ ١١٥).

(٢) سورة يونس: ١٠٨.

لقمة العيش التى افتقدتها بانفصال والدى، ثم تزوجت هربًا من شقائى، ولكننى بزواجى أضفت تعاسة أخرى، فعدت للعمل، وقررت فى نفس الوقت استكمال دراستى التى كنت قد قطعتها، وطوال هذه الفترة كنت أبحث عن نفسى الضالة، وأبحث عن الطمأنينة الروحية، والاستقرار والأمان.

وبدأ اهتمامى واقتناعى الشديد بالإسلام فى بيروت، الواقعة تحت وطأة الحرب الأهلية، فقد كنت أسكن فى وسط بيروت بين أسر مسيحية، وأخرى مسلمة، واستطعت من خلال جلساتى معهم أن تبدأ معرفتى بالدين الإسلامى.

ثم بدأت أقرأ معانى القرآن الكريم بالإنجليزية قبل أن أرحل إلى القاهرة، وإذا بى أنجذب نحو القرآن الكريم الذى لم أكن أعرف منه سوى اسمه.

لقد أيقنت -من القرآن- وحدانية الله عز وجل، وآمنت بملائكته، وكتبه، واليوم الآخر إلى درجة أننى أشعر بفضل الله علىَّ، وأن الإيمان الآن يملأ كل أركان قلبى وعقلى.

وأصبحت أسعد أوقاتى تلك التى أقضيها فى قراءة القرآن الكريم، ولدى الآن فى بيتى مكتبة إسلامية، وأتمنى ذلك اليوم الذى ينطلق فيه لسانى باللغة العربية لأستمتع بقراءة كل ما لدى من كتب التفسير، والمجلات الإسلامية، فمشكلتى الوحيدة هى أننى لا أتقن الحديث باللغة العربية.

وفى اعتناقى الإسلام اكتسبت نفسى الهداية، والأمان النفسى، وهو جانبٌ روحىٌ، ولكن: هناك جانب آخر هام، هو الدنيوى، فقد وجدت فى الإسلام أنه دين الحياة بمعنى الكلمة، إنه رسالة خالق السماوات والأرض إلى الإنسان فى الأرض.

إنه ينظم حياة الإنسان ويسمو به إلى مصاف البشرية الحقة، الخالية من فساد النفوس[١].

وأخيراً أصبحت من باتريشيا الأمريكية إلى كريمة منصور المسلمة، عائدة إلى الله.

ابنة القسيس تعود إلى الله

هى فيفيان وينجيت الإنجليزية، هذا هو اسمها قبل العودة إلى الله، وبعد العودة أصبحت سعدية شاه.

تقول عن نشأتها: قبل أن أنطق بالشهادتين، ويضىء الإيمان قلبى، كان اسمى فيفيان وينجيت، وُلدت لأب يعمل قسيسًا، فجاءت تربيتى الأولى مسيحية محافظة، ولكن تلك التربية لم تمنعنى من اعتناق الإسلام بعد أن مس هذا الدين الحكيم شغاف قلبى.

لقد اعتنقت الإسلام بعد اطلاعى على الكتاب الحكيم، وبعد احتكاكى بالمجتمعات فى بريطانيا، حيث شاهدتُ تجربة الحياة الأسرية، الغنية بكُلِّ ما تحمل الكلمة من معنى، ورأيت تقاربًا، وترابطًا فى الأسرة لم ألمسه فى المجتمع الإنجليزى منذ أن كنت طفلة صغيرة.

إن التدين فى المسيحية كما لمسته منذ سنوات طفولتى يقتصر على شعائر تمارس مرة واحدة فى الأسبوع، وذلك فى يوم الأحد بالتحديد.

ومعظم هذه الشعائر تمارس فى خصوصية، وانفراد مثل أن يقوم الشخص المسيحى بأداء صلاة قصيرة إلى جانب فراشه قبل النوم، أو فى أوقات الشدة، وغير ذلك لا تجد، أو تُحسّ بأى ذكر لله خلال الحياة اليومية للناس، خاصة فى ظل المجتمع المادى.

---

(١) مجلة «المسلمون» عدد رقم (٢٠).

والفارق الأساسى بين الإسلام والمسيحية فى هذا الصدد -هو عدم انقطاع الصلة بين العبد المسلم وربه طوال الوقت.

وتسأل فيفيان وينجيت عن موقف والديها من دخولها إلى نور الإسلام، فتقول:

أعتقد أن كل أسرة متدينة تريد لطفلها أن ينشأ على نفس الدين، والعقيدة التى تعتنقها، ولذلك فقد شعر أفراد أسرتى بنوعٍ من الغضب عندما علموا باعتناقى الإسلام، ولكنهم سرعان ما تراجعوا عن هذا الغضب، وشعروا بأننى فى راحةٍ مما حدث.

وعن موقف المجتمع نحوها، تقول فيفيان وينجيت:

أواجه بعض العداء من الأوربيين يرون أن المسلمة أو المسلم من بنى جنسهم، رفض عقيدتهم، وطريقة حياتهم، وتحوَّل إلى عقيدةٍ جديدة، بدأ معها يمارس نوعًا جديدًا من الحياة.

ولكن الغريب فى الأمر هو أن بعض الأوروبيين ينظرون بحسدٍ شديد إلى المسلم أو المسلمة الأوربية خاصة عندما يرون أن هذا الشخص وجد حياة جديدة تتميز بحب العقيدة، وبالرابط الأسرى، والتماسك الاجتماعى.

ورغم هذا فإنهم لا يحاولون دخول الإسلام، بل يكتفون بمعاداة المسلم.

وعندما قيل لفيفيان: ما هو الشىء الذى جعلك تعتنقين الإسلام؟

تقول: وجدت طمأنينة القلب، ووجدتُ أن الناس أكثر إخلاصًا تجاه بعضهم البعض، كما أن هناك ثقة متبادلة بين البشر على اختلاف هُويَّاتهم، ومشاربهم.

ورغم أن هناك تفاوتًا فى درجات الغنى والفقر، إلا أننى لمست إحساسًا بعدم وجود أى تفاوت طبقى بمعنى الكلمة، خاصة فيما يتعلق بالمسائل والعلاقات الإنسانية.

ولم أر فى حياتى أى مسلمٍ غنى يشعر بالحرج أو الخجل من زيارة العائلات المسلمة الفقيرة، وإقامة علاقات إنسانية وطيدة معها.

أما فى الغرب فإن الأمور تبدو مختلفة تمامًا، وتوصى فيفيان أخواتها المسلمات قائلة:

إن الاهتمام يجب أن يتركز على النشء، وعلى تربية النشء تربية إسلامية صحيحة، وعلينا أن نتذكر أننا إذا ساعدنا أطفالنا على اكتساب الثقة بالنفس، فإنهم سيكونون أقدر منا عندما يكبرون على إفهام معانى الإسلام[١].

وهكذا عادت فيفيان وينجيت إلى الله، وأصبحت سعدية شاه، ونكمل المسير مع نساء عائدات إلى الله تعالى، ومن الله العون والسداد.

عودة الليدى إيفيلين إلى الله

إنها الليدى إيفيلين الإنجليزية، عادت إلى ربها، فدخلت فى الإسلام.

تقول الليدى إيفيلين: كثيرًا ما سئلت: متى، ولماذا أسلمت؟ وأستطيع الإجابة بأننى لا يمكننى تحديد اللحظة الحاسمة التى أشرق فيها نور هذا اليقين على قلبى، ويبدو أننى كنت مسلمة منذ البداية، ولا عجب فى هذا، إذا علمنا أن الإسلام دين الفطرة، يشُبُّ عليه الطفل إذا تُرك على فطرته.

وكلما زادت دراستى وقراءتى عن الإسلام، زاد يقينى فى تميزه عن الأديان الأخرى بأنه أكثرها ملاءمة للحياة العملية، وأقدرها على حل مشكلات العالم العديدة، والمعضلة، وعلى أن يسلك بالبشرية سبل السعادة والسلام.

---

(١) مجلة «المسلمون» العدد رقم (١٨).

لهذا لم أتردد فى الإيمان بأن الله واحدٌ، وبأن موسى وعيسى، ومحمدًا -عليهم صلوات الله-، كانوا أنبياء أُوحى إليهم من ربهم لكل أمةٍ رسول.

وهنا قيل لها: ماذا غير عندك الإسلام من مفاهيم؟

فتجيب: غير مبدأ أساسيًّا كان فى حياة كل مسيحى ومسيحية، ألا وهو أننا لم نولد على الخطيئة، وبأننا لا نحتاج إلى من يحمل عنا خطايانا أو يتوسط بيننا وبين الله تعالى، وفى وسعنا أن نصل أرواحنا به فى أى وقتٍ نشاء.

وبأنه حتى محمد، أو عيسى -صلوات الله عليهما- لا يملك أحدهما لنا من الله شيئًا، وبأن نجاتنا إنما هى وقفٌ على سلوكنا وأعمالنا.

وهكذا عادت الليدى إيفيلين إلى ربها، وتحولت بعد عودتها إلى زينب كُوبُولد.

ونكمل المسير مع نساءٍ عائدات إلى الله تعالى، ومن الله العون والسداد.

عودة خديجة الكورية إلى الله

خديجة الكورية هى أول امرأة كورية تنعم بزيارة البيت الحرام، بعد عودتها إلى ربها.

فما هى قصتها؟

إنها تحيا مع زوجها جون النصرانى، وتواظب معه هى والأولاد على الذهاب إلى الكنيسة فى أيام الأحد والأعياد لكى تمارس هى والأسرة الطقوس المسيحية.

وذات يومٍ التقى جون مع مدرسٍ باكستانى مسلمٍ، فأخذا يتناقشان حول الإسلام ومبادئه، وكان ذلك فى يوم الاثنين، وتكررت اللقاءات، وأخذ جون يفكر بعقله الذى حصل به على أرقى الشهادات فى جامعات كوريا.

ويطلب جون من صديقه المسلم «مُحبٍّ الله» أن يشرح له معنى سورة «الإخلاص»، وعن هذه الليلة يقول: تلك الليلة لا أنساها طوال حياتى، ففيها كانت نقطة البداية للتحول الحقيقى فى حياتى من الشك إلى الهداية، إلى الإيمان ودين الحق ليس لى وحدى، ولكن لأسرتى كلها.

وجاء جون إلى زوجته، وعرض عليها ما سمع من معانى سورة «الإخلاص» وسرعان ما أنار الله قلبها، وشرح صدرها، فعرفت الطريق إلى ربها.

لقد أسلم زوجها، وصار اسمه «إبراهيم» أما هى فتسمت بخديجة، ويُطلب منها معرفة اسمها السابق فترفض، ولكن ما هى علة الرفض؟ وكانت الإجابة لقد أهملت اسمها قبل معرفة الطريق إلى ربها، لأنها تعتبر أن مولدها الحقيقى يوم دخولها الإسلام، وإشهار إسلامها.

وهنا تسأل خديجة الكورية: هل كان إسلامك تعاطفا مع الزوج أم عن اقتناعٍ تام؟

تقول: لا، لقد أسلمت عن اقتناعٍ تامٍّ، ووصولى إلى الحقيقة بنفسى، ولو عرفت شيئًا عن الإسلام قبل زوجى لكان إسلامى سابقًا له.

فى البداية كنت أستمع إلى زوجى، وهو يقرأ قصار السور، ويرتل القرآن الكريم فى منزلنا بسيول، وبدأت أسأله عما تعلَّمه، فيشرح لى وأنا أناقشه حتى عرفت كيف أن الإسلام قد أعطى المرأة حقوقًا عظيمة، وحافظ على كرامتها، وبعد أربعة أشهرٍ أعلنت لزوجى عن رغبتى فى اعتناق الإسلام وتعلم الصلاة.

وتسأل خديجة الكورية: ألم يصلكما أى معلومات عن الإسلام من قبل عن طريق الإعلام؟

تقول: المعلومات التى وصلتنا هنا -فى كوريا- عن الإسلام غير مكتملة، وكانوا يعطوننا فكرة خاطئة عن حقيقة هذا الدين العظيم.

وهناك الملايين من الأسر التائهة التى تبحث عن الحقيقة، ولكنها لا تعرف أين الطريق إلى الله[(١)].

عودة مارجريت الإنجليزية إلى الله

هى مارجريت فيليب إنجليزية المولد، والمنشأ، ولكنها تزوجت من رجلٍ هولندى، وعاشت معه على النصرانية، فى قرية من قرى ريف أمستردام.

أهل القرية ينظرون إليها فى نفورٍ واشمئزاز، ومارجريت لا تدرى ما السبب فى ذلك؟

وزوجها يعرف سر العزلة التى يعيشها هو وزوجته، إن أهل القرية ينفرون منها لأنهم كانوا لا يحبون الإنجليز فى تلك الأونة.

ولكن ماذا يفعل زوجها إن القدر هو الذى ساقه إلى تلك الزوجة، ولم يجد الهولندى أحدًا يُصادقه فكُلٌّ ينفر منه هو وزوجه، ولكنه أحس أن هناك من يبادله الابتسامات عند رؤيته، ويُشير له كلما شاهده على بُعد، إنه ربُّ أسرة مسلمة لا تدين بالمسيحية، ولكن لم تكمل تلك المودة معً نفور باقى أهل القرية.

لماذا لا يكره المسلم أسرة مارجريت كما يفعل باقى أهل القرية؟!

يطلب الزوج الهولندى من الصديق المسلم أن يتزاورا، فتذهب مارجريت مع زوجها إلى مسكن المسلم الذى يبدو عليه أمارات ديانة مختلفة عن النصرانية، فلا يزين الحائط بصورٍ عن مريم العذراء، أو عيسى -عليه الصلاة والسلام-، إنما هى الآيات القرآنية.

ويسأل الزوج الهولندى: لماذا لا تنفرون من أسرتى كما يحدث من أغلب أهل القرية؟

---

(١) مجلة «المسلمون» رقم (١٩).

وبكل هدوء أجاب المسلم الهولندى: إن ديننا يعلمنا أن الناس جميعًا سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأعجمى على عربىٍّ إلا بالتقوى.

فلما لم نر أمرًا يمنعنا من التعامل معكم بادلناكم المودة، وفى نهاية الجلسة طلب الهولندى من المسلم أن يبادله هذه المودة، لأن لديه بعض الأسئلة التى يود أن يجيب له عليها.

وحدث اللقاء الثانى فى منزل مارجريت التى جلست مع الزوج المسلم، وأخذت تسأله عن الإسلام ومبادئه، وفجأة طلب المسلم من الهولندى شيئًا من القماش ليفرشه على الحشائش، فلقد حان وقت الصلاة.

ونظر الهولندى وزوجته مارجريت إلى صلاة المسلم، وقالت مارجريت لزوجها: إنه يصلى بلا قساوسة، ولا هياكل؟!!

وهنا قالت مارجريت للمسلم بعد انقضاء الصلاة: إنها صلاةٌ مختلفةٌ تمامًا عن صلاتنا، فنحن كما نعرف، فى مكانٍ، وهياكل، وعددٍ من القساوسة، يقولون دائمًا إنهم يعرفون الله، وأننا بدونهم، وبدون التعرف عليهم، والانصياع لهم ولمطالبهم لا يمكننا أن نعرف الله.

قال المسلم: الله واحدٌ لا شريك له، يعبده المسلم، وتعبده المسلمة فى أى مكانٍ على وجه الأرض من غير واسطة بينها وبين الله تعالى.

فالإسلام يُعلِّمنا أنه لا كهنوت فيه، فليس هناك أى واسطة بين العبد وربه، ولسوف آتيك ببعض الكتب التى تتحدث عن هذا المعتقد الإسلامى.

لم يستطع الزوج الهولندى إلا أن يستمع إلى حوارهما ساكنًا هادئًا، وهنا قطع هدوءه قول المسلم له: ستصبح زوجتك يومًا ما مسلمة، وتمر الأيام والشهور، ولا هم لمارجريت إلا القراءة فى الكتب التى تتحدث عن الإسلام ومبادئه.

ومن كثرة مطالعتها للكتب التى تتحدث عن الإسلام غار زوجها من هذا الأمر، ولكن مارجريت التى قرأت عن الإسلام بقلبٍ يبحث عن النور، وبروحٍ ظامئة إلى الهداية أجابت زوجها أنها تشعر أن الإسلام هو الدين الحق، والصراط المستقيم.

وفى البدء أظهر الزوج التزامه بتعاليم الكنيسة، ومبادئها، ولكن الزوجة من كثرة إلحاحها عليه أن يقرأ معها، تعاطف الزوج مع زوجته مارجريت، وأخذ يقرأ معها عن الإسلام.

وذات يومٍ قررت مارجريت الإنجليزية أن تدخل الإسلام مع زوجها، وعلى يد الهولندى كان إسلامها، وتغيرا اسم مارجريت إلى آمنة بنت عبدالله[1].

عودة فاطمة بنت هيرين الألمانية إلى الله

«فاطمة هيرين» واحدة من العائدات إلى الله من ألمانيا، عادت من الكفر إلى الإيمان، وهكذا أصبح اسم الفتاة الألمانية التى أعلنت إسلامها.

وها هى فاطمة هيرين تتحدث عن نفسها بعد إسلامها، وكيف أنها -وهى الغربية المتحررة قبل إيمانها- قد طبقت تعاليمه فى جدٍّ، تقول:

تعلمت أن الصلاة ليست أمرًا يؤدى كيفما اتفق، ولكنها فى الحقيقة نظام لابُدَّ أن يصاغ اليوم كله على منواله.

وتعلمت أن أرضى بالوضع الذى يجلس فيه زوجى مع إخوانه فى الدين -وقد أسلم قبلها- يتجاذب وإياهم أطراف الحديث النير، فى الوقت الذى أُعدّ لهم فيه الشاى، وأقدمه عند الباب، دون أن أعرف الأشخاص الذين أعددت لهم ذلك.

---

(١) مجلة «منار الإسلام» الإمارات (ص/ ١٠٥).

وبدلاً من الذهاب إلى الأسواق تعودّت أن أمكث فى البيت لمطالعة الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية.

وتعلمت أن أحب نبينا محمداً ﷺ، وصحابته من خلال قراءتى لكتب الحديث النبوى، فقد أصبحوا شخصيات بشرية حية لا مجرد نماذج تاريخية معجبة.

وغدت أمثلة العطف والشجاعة، والتفانى والصلاح التى ضربها هؤلاء الأولون فى حياتهم، نجوم هداية لى[١].

عودة سمية مكثير البريطانية إلى الله

هى سمية مكثير من والاسى قرب ويرال فى ميرسيسايد، متزوجة من راشد المولود أيضًا فى والاسى، تقول عن رحلة عودتها إلى الله:

اعتنقنا الدين الإسلامى عام ١٩٨٣م، وتمت إجراءات اعتناقنا الإسلام فى مسجد الرحمة فى (توكستيت) فى (ليفربول) ببريطانيا، وأعلنا فى اليوم نفسه زواجنا الإسلامى، وأبطلنا زواجنا المسيحى، وأنا وزوجى نعمل فى مهنة التدريس.

كانت رحلتى مع الإسلام بعد تفكيرٍ طويلٍ، وبحثٍ معقد، وكنت أقوم بهذه الرحلة شيئًا فشيئًا، وكانت الظروف المحيطة بى معقدةً أيضًا، وكانت هى العناصر المتحركة التى دفعتنى إلى الإسلام، ذلك الدين القيم الذى يُولد مع الإنسان كما وُلد مع طفلتنا الكساندرا التى كانت سببًا رئيسيًّا فى تحول حياتنا، وحفزتنا ولادتها ثم موتها بعد أيامٍ إلى مثل هذا البحث والتساؤل، ولذا فقصتى تبدأ بها.

قبل ولادة الكساندرا كنت أعيش فى صحراء روحية قاحلة، حيث لا عاطفة ولا روح، وقد بحثت عن الله فى مواضع عدة.

---

(١) رسالة إلى حواء (ص/٥٣) للعويد.

ففى الكاثوليكية -الديانة التى كنت أعتنقها- تطلعت إلى الطريق الموصل إلى الله فوجدت الطريق ناقصًا، وبدا لى أن محاولة إيجاد الطريق إلى الله تعترضها معوّقات.

لقد بحثت عن الله الذى دعانى إلى الصلاة إليه أولئك القساوسة، وتلك التماثيل منذ طفولتى، وتلك الكلمات الجوفاء، والوعود بالجنة والمغفرة فى الديانة البروتستانتية الباردة أثناء تجربتى لها فى شبابى، فوجدت فيها الاضطراب، والتشوش.

ولم أجد فيها الطريق الواضح إلى الله، وكنت أحاول أن أستشعر وجود الله، ولكننى لم أستطع لأن قلبى وعقلى كانا فارغين، ولم يكن حولى من أتحدث إليه عن ضائقتى، ولا أحد ينصحنى أو يرشدنى لتنقية عقلى وتبيان الطريق إلى الله.

كانت هناك أسئلة عدة تواجهنى مثل ما دور القساوسة والتماثيل؟!

وما دور السيدة مريم أم المسيح -عليهما السلام-؟

والأهم من هذا كله: ما هى عقيدة التثليث؟ ولم أكن أقدر على الإجابة من تلقاء نفسى، ولذا توجهت إلى الأخرين فعسى أن يرشدونى إلى الاتجاه الصحيح.

جلست فى الكنائس أتلو كلمات من كتاب الصلاة، وأستمع إلى الناس من حولى، وهم يرددون كلمات خالية من المشاعر، وصلوات بلا معان إيمانية، وهؤلاء المصلون فى الكنيسة، والذين يجأرون بأصواتهم فى صلواتهم تناقض صلاتهم أفعالهم خارج الكنيسة، ولم يكونوا على شيءٍ من الحب والاحترام فى ما بينهم، ولا تربطهم عواطف أخوية أو دينية صادقة.

أما بالنسبة لى، فقد أُلقى بعض الضوء على ضائقتى الروحية عندما أُدخلت المستشفى للولادة، كان علىَّ أن أبيِّن ديانتى على شكلٍ ما، وكنت أودُّ

ألا أُبيِّن انتمائى إلى الكنيسة الإنجليزية، ولا إلى أى بديلٍ عنها لأننى لم أكن أرغب فى بيان الدين.

كانت لدى شكوك وأسئلة تعتورنى من غير أن تحظى بإجابة مرضية، فلماذا يوجد شخص وسيط -كالقس- يقف بينى وبين الله؟ ولمن أُصلىّ؟

وأى واحدٍ من الثلاثة فى مفهوم التثليث هو الإله؟!

وكنت مشوَّشة من مفهوم التثليث هذا، إذ كيف يمكن لكائن بشرى -بجميع حالات الضعف المولودة معه- أن يجعل من نفسه فوق الآخرين، ويغفر لى خطاياى؟

وهناك عبادة القساوسة، والقديسين، والتماثيل، وأُمّ المسيح الذى يفترض للمسيح -وحسب الاعتقاد المسيحى- أن يجلس إلى يمين الإله.

ولماذا يجب على طفلتى أن تولد بخطيئةٍ معها؟ وأن يتم رفض تشييعها ودفنها على الطريقة المسيحية، إذ لم يكن جرى تعميدها من قبل؟!

لقد حاولت قبول الديانة المسيحية التى انحدرت إلىَّ من أسرتى، ولكننى كنت كلما كبرت ونضجت أجدها ليست الديانة المناسبة لى.

ففى يناير عام ١٩٨٢م، ولدت طفلتنا الكساندرا، وتوفيت بعد خمسة أيامٍ من ولادتها، وكان هذا بالنسبة لى ولزوجى أمرًا صعبًا للغاية، وبخاصة عندما غادرت المستشفى بدونها، وفتشت بصعوبة كى أجد قبولاً لهذه الخسارة المرعبة، حاولت إيجاد السبب.

ثم اهتديت إلى السبب: وهو أن حياتها كانت جزءًا من خطة (مُقدّرة) وكذلك موتها، فطبيبى فى المستشفى هو الذى أخبرنى بهذا عندما تحدث لى عنْ (القضاء والقدر) إذ كان الطبيب مسلمًا، وقلت فى نفسى: إن هذه الخسارة المرعبة يمكن أن يكون لحدوثها وحدوث أمثالها معنى.

فطفلتنا كانت قد ولدت صافية وجميلة، وبريئة، وعزمت على طرد الخواطر السيئة التى تنحى باللائمة على أى أحدٍ من الناس لموتها.

كانت تنتابنى مشاعر من الحزن، والألم غريبة، وكانت أيامًا عصيبة، حاولت فيها التغلب على الحزن، والفراغ اللذين أحدثهما فقدان الطفلة بالتفكير فى القضاء والقدر، وفى دين طبيبى المسلم، وفى الله، والطريق الموصل إلى الله.

رأيت ذات ليلة فى منامى أننى أجد نفسى جالسة فى مكانٍ غريبٍ يغلب عليه اللون الأبيض، وكان من حولى أناس لا أستطيع تمييزهم، كانوا رجالاً ونساءً يرتدون لباسًا أبيض، أحببتهم من غير أن أعرفهم.

نظرت إليهم فوجدتهم يتوددون إلىَّ ويحبوننى، هذا الحلم الجميل كان شيئًا يمكن الأخذ به، واختباره جيدًا، ويبدو أنه متمم لحديث طبيبى المسلم فى المستشفى عن القضاء والقدر، ثم دخل حياتى القرآن الكريم، فنظرت فيه، وفحصت ما جاء به عن الديانات الأخرى، وكان ذلك صيف عام ١٩٨٢م.

وبدأت أقرأ ثم أعيد ما قرأته، وشعرت بأن كل ما قرأته كان مألوفًا وصادقًا، وأن جميع الأسئلة التى سألتها نفسى سابقًا، وسألتها الناس كانت مجابة بسهولة ووضوح.

لم أكن أصدق ما يحدث، فهذا كتاب الله هو الدليل الذى كنت أفتش عنه، وعندما حان الوقت المناسب وقع الكتاب فى يدى فهل كان ذلك قضاءً وقدرًا؟!

بعد مرور أشهرٍ شاهدت فيلمًا فى التلفزيون عن العرب، وكان هنالك منظر من مكة المكرمة يبيِّن الحجاج وهم يؤدون فريضة الحج، فتذكرت الحلم الجميل الذى حدثتكم عنه، وكانت لدينا تصورات سلبية عن الإسلام

والمسلمين، كانوا قد غذَّونا بها عن طريق الإعلام الغربى وأفلام هوليوود، وعندما بدأت أقرأ القرآن الكريم، حاولت أن تكون القراءة بقلب وعقل مفتوحين.

ونتيجة لذلك شعرت بأن حياتى تتحول تدريجيًّا، وعرفت أن الله تعالى واحد أحد، وهو رب العالمين شاملاً ذلك المسيحيين واليهود.

وأصبحت حياتى تميل إلى الهدوء والسلام، وانعكس ذلك على تصرفاتى وسلوكى فى الحياة، ووجدت أنه لابُدَّ من الإذعان إلى الله سبحانه، وإلى ما قدّره.

وكان من الطبيعى أن أجد صعوبات من أسرتى وزملائى فى العمل، بسبب اعتناقى الإسلام، وقد تعلمت وزوجى الصلاة بالإنجليزية أولاً، ثم بالعربية بعد وقتٍ قصير.

وكان علينا أن نتحرى الطعام الحلال المسموح به فى الإسلام، ومكثنا قبل الاهتداء إلى محال بيع اللحوم الإسلامية، نأكل الخضار والفاكهة فقط.

وكان كل شىءٍ يتم بيسرٍ وعونٍ من الله تعالى، ثم تعلمنا الصوم وسائر أركان الإسلام، ولو أردت أن أحصى النعم التى أنعم الله بها علينا باعتناقنا الإسلام لكتبت عنها مجلدات، ولكنى أقول للناس:

اقرؤوا القرآن الكريم بعقلٍ وقلبٍ مفتوحين، فهو يحتوى على الحقيقة تلك التى سيضىء نورها قلوبكم وأرواحكم، وتوكلوا على الله لتنيروا طريقكم فى الدنيا والآخرة[١].

عودة مافيزب جولى إلى الله تعالى

ولدت فى بيئةٍ مسيحية، وتعمَّدت فى الكنيسة الإنجليزية كعادة قومها،

---

(١) نقلاً عن مجلة الوعى الإسلامى العدد (١٠) السنة (٢٧) شوال ١٤٢٢هـ.

ثم التحقت بمدرسة تابعة للكنيسة، وقرأت فى سنٍ مبكرة قصة المسيح -عليه الصلاة والسلام- كما جاءت فى الإنجيل.

ولقد كان لهذه القصة فى نفسها تأثيرًا عاطفىٌ عميق، تقول مافيزب:

أعتقد أننى كنت فى تلك السنوات القليلة مسيحية متحمسة، ومع تقدمى فى الدراسة، واستمرار اتصالى بالأناجيل، وكل ما يتعلق بالمسيحية اتسعت أمامى فرصة التفكير فيما قرأت وشاهدت، وفيما مارست من عبادةٍ وعقيدةٍ، وسرعان ما وجدتنى أمام أشياء كثيرة لا أستطيع الاقتناع بها.

ثم شرعتُ فى دراسة الأديان الرئيسية الأخرى فى العالم، فبدأت بالبوذية، ودرست بكل اهتمامٍ طريقها ذا الشُّعب الثمانية، فوجدتها تهدف إلى الخير، لكنها تفتقر إلى الكثير من التفاصيل، وينقصها وضوح الاتجاه.

وبعد البوذية تنتقل مافيزب إلى الهندوسية، تقول: وفى الهندوسية رأيتنى أمام مئات من الآلهة، لا ثلاثة فقط، ولكلٍ منها قصة وهمية مثيرة لا يمكننى قبولها.

ثم قرأت قليلاً عن اليهودية غير أننى كنت قد قرأت الكثير عنها فى العهد القديم، وخرجت من قراءتى بأنها تنقصها المُقوِّمات التى أرى أنه لابُدَّ من توفرها فى الدين.

من اليهودية إلى عالم الروحانيات!!

وبناءً على توجيه أحد أصدقائى بدأتُ دراسة علم الروحانيات، وأن أحضر جلساته التى تُسيطر فيها الأرواح المجردة على الإنسان غير أنى لم أزاول ذلك طويلاً، حيث اقتنعت تمامًا أن الأمر بالنسبة إلىَّ لم يكن أكثر من إيحاءٍ نفسى، وقد أتعرض للخطر إذا سرت فى هذا السبيل طويلاً.

وعند انتهاء الحرب العالمية الثانية حصلت على عمل فى أحد مكاتب لندن، غير أن ذلك لم يكن ليحول بينى وبين التفكير الدينى، وذات يومٍ

نشرت إحدى الصحف المحلية مقالاً، فكتبت ردًّا عليه أعترض على تأليه المسيح، كما ورد فى الإنجيل.

نتج عن ذلك الرد أن اتصل بى كثيرٌ من القراء، ومن بينهم رجل مسلمٌ، وهنا بدأت فى دراسة الإسلام مع هذا الرجل الذى تعرفت إليه، وكنا كلما ناقشنا جانبًا من هذا الدين، أشعر بانهيار رغبتى فى مقاومته.

ثم اقتنعتُ وآمنتُ -رغم استبعادى لذلك فى الماضى- بأن الرسالة الكاملة قد وصلتنا على لسان رجلٍ عادىٍّ من البشر، إذ أن أرقى الحكومات فى القرن العشرين لم تستطع أن ترقى بتشريعها إلى ما يفوق تلك الرسالة، بل إنها تقتبس أنظمتها باستمرار من النظام الإسلامى وبعد تلك الفترة قابلت عددًا من المسلمين، وبعض فتيات إنجليزيات ممن تحوَّلن عن دينهن، وبذلن الجهد المضنى لمعاونتى إذ أدركن ما أُواجه من مشاكل لنشأتنا جميعًا فى بيئةٍ واحدةٍ، ولكن ذهبت جهودهن دون جدوى.

بداية العودة إلى الله من مافيزب

ثم قرأتُ عددًا من الكتب، أذكر منها: «دين الإسلام»، و«محمد والمسيح» و«مصادر المسيحية» ولقد تأثرت بهذا الكتاب الأخير كثيرًا، إذ أنه يوضح التشابه العجيب بين المسيحية والقصص الخيالية الخرافية فى الوثنية القديمة.

والأهم من ذلك كله أننى كنت قد قرأت القرآن، وللوهلة الأولى بدا لى كأن أكثره ترديد مكرر، ولم أكن واثقة تمامًا من مدى استيعابى لما فيه غير أننى وجدته يصل إلى القلب رُويدًا رويدًا، تتوالى الليالى ولا أجد فى نفسى الرغبة فى تركه من يدى.

ولقد شُغل فكرى دائمًا بهذا التساؤل العجيب: كيف يعقل أن يأتى هذا

الهدى الكامل للإنسانية بطريق البشر المتصفين بالنقص، ولم يقل المسلمون أبدًا عن محمد ﷺ أنه فوق البشر.

ولقد رأيتُ الإسلام يُقرر أن الرسل رجالٌ لم يتدنسوا بالخطايا، وأن الوحى ليس شيئًا جديدًا، فقد أُنزل على أنبياء اليهود من قبل، وأن عيسى كان هو الآخر رسولاً، غير أن لغزًا ظل يُراود فكرى؟!

لماذا لا ينزل الوحى على رسلٍ فى القرن العشرين؟!

وكانت الإجابة: أن أتدبر ما قرره القرآن أن محمدًا ﷺ، هو رسول الله، وخاتم النبيين، فكان ردًّا مفحمًا تمامًا، إذ كيف يتأتى أن يُرسل الرسل بعد محمد ﷺ، والقرآن المجيد، هو الكتاب الشامل الذى جاء تبيانًا لكل شيء، ومصدقًا لما بين أيدينا، وهو باقٍ ثابت، إلى الأبد بلا نسخ ولا عبث، كما يقرر القرآن، ويؤكده الواقع.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

لا شك أنه ليس هناك من داعٍ بعد ذلك إلى رسلٍ ورسالات، ورغم ذلك فقد ظللتُ فى غمرةِ التفكير.

«من آثار القرآن على مافيزب جولى: قرأتُ القرآن، وتعلمتُ أنه هُدىً لقومٍ يتفكرون، وأنه تحدى المتشككين ليأتوا بسورةٍ من مثله، فقال عز وجل:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢).

ثم أمعنت التفكير، إذا كان النظام القرآنى للحياة يُعزى إلى رجلٍ ولد فى سنة ٥٧٠ ميلادية، فلا شك أن بمقدورنا فى القرن العشرين أن نصل إلى نظامٍ أفضل منه، وبدأت البحث على هذا الأساس، ولكننى فشلتُ فى كل مجالٍ.

---

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٣.

ثم بدأت نفسى تطمئن تدريجيًّا إلى الحق الذى جاءت به تعاليم الإسلام، فأعلنت إيمانى به، واعتناقى إياه لا عن عاطفةٍ خاطفة مؤقتة إلى حينٍ، إنما عن اقتناعٍ كاملٍ، ودراسة واعية طويلة، وتفكيرٍ دائبٍ قرابة عامين، ولم أجد أمامى إلا أن أسلك هذا السبيل، طارحة كل العواطف الأخرى التى كانت تشدنى شدًّا إلى الطريق المضاد(١).

وهكذا عادت مافيزب جولى إلى الله، فكانت من العائدات إلى الله.

عودة أمينة موسلر الألمانية إلى الله

تقول أمينة موسلر: سمعت ولدى الصغير يتوسل إلىَّ وفى عينيه الدموع، يقول: يا أمى، لا أريد أن أبقى مسيحيًّا بعد الآن، إننى أريد أن أكون مسلمًا، وأنت أيضًا يا أمى، يجب أن تنضمى معى إلى هذا الدين الجديد.

كان ذلك فى عام ١٩٢٨م، وكانت تلك هى المرة الأولى التى شعرت فيها بوجوب معرفة الإسلام.

ولكن كيف كانت البداية فى معرفة الله؟ تقول أمينة موسلر: مضت سنوات قبل أن أتصل بإمام مسجد برلين، الذى شرح لى هذا الدين، فما لبثت أن اقتنعت أن الإسلام هو الدين الحق الذى أرتضيه.

كيف كانت نشأة السيدة موسلر؟

تقول: كان كل أسلافى مؤمنين أتقياء، وأنا شخصيًّا نشأت فى دير، ومن ثم فقد تعودت أن أنظر إلى الحياة من زاوية الدين، وكان ذلك يقتضينى أن ألتزم بهذا الدين، أو ذاك، فكان من حسن حظى، ومن دواعى اطمئنانى أن قررت اتباع دين الإسلام.

---

(١) لماذا أسلمنا (ص/ ١٢٢).

والآن ما أسعدنى وأنا جدةٌ، إذ أستطيع أن أفاخر بأن حفيدى وُلد مسلمًا، والله يهدى من يشاء إلى طريقٍ مستقيم[١].

وتمضى أمينة موسلر فى موكب العائدات إلى الله، ونكمل المسير، ومن الله التيسير.

عودة ديانا سميث الأمريكية إلى الله

إنها فتاة أمريكية جاءت من بلادها إلى بلد الأزهر، لكى تعلن إسلامها، ولتحكى لنا كيف عرفت ربها عز وجل.

تقول ديانا سميث التى تحولت إلى زينب محمد: قرأت كثيرًا عن الإسلام، وتعرفت على بعض المسلمين فى أمريكا، فوجدت روح الإيمان تغمر نفوسهم، وقلوبهم، فتأثرت تأثرًا عميقًا بالإسلام، وبخاصة أنى وجدت قومى غارقين فى الحياة المادية، وبعيدين عن الله، وعن الدين، ويعيشون فى تمزقٍ وضياعٍ.

فأردت أن أنتزع نفسى من هذا التفكك والضياع، فهدانى الله سبحانه وتعالى إلى الإيمان، وأشرق نور الإسلام فى قلبى، فجئت إلى مصر منذ عامين ونصف، وأشهرت إسلامى أمام الشيخ رئيس لجنة الفتوى بالأزهر[٢].

عودة النمساوية المجهولة إلى الله

إنها فتاة نمساوية الأصل، ولكنها سافرت إلى ميونخ فى ألمانيا الغربية، واتجهت إلى المركز الإسلامى هناك، وتبرعت للمركز بعشرة آلاف مارك، فدهش القائمون على المركز لهذا التبرع الذى تقدمت به فتاة لا تدين بالإسلام:

(١) لماذا أسلمنا (ص/ ١٣٩) مترجم.

(٢) نقلاً عن مجلة «اللواء الإسلامى».

لماذا تتبرع بهذا المبلغ إلى مركزٍ يدعو إلى دين لا تعتنقه؟!

فى الوقت الذى تنتشر فيه الكنائس، والجمعيات الخيرية النصرانية!

لم تستمر دهشة الإخوة هناك طويلاً، فقد أبدت الفتاة رغبتها فى الزواج من شاب مسلمٍ، يرشحه المركز لها!!

وإذا كانت رغبة الفتاة فى الزواج من مسلمٍ قد فسرت الأمر بعض التفسير إلا أنها زادته غرابة ودهشة.

ثم فهم الإخوة الحقيقة، وعرفوا سر رغبة الفتاة فى الزواج من شاب مسلمٍ على الرغم من أنها ما تزال على دينها، ليس لهذه الفتاة فى هذه الدنيا سوى أم تعيش معها، تحبها ولا تريد أن تتخلى عنها، لكنها فى الوقت نفسه ترغب فى الزواج مثل غيرها من الفتيات، وكانت تعلم أن أى شاب لن يرضى أن تعيش أمها معها إذا تزوجها.

وكانت أمها تعلم برغبة ابنتها فى الزواج، وتدرك فى الوقت نفسه مثل ابنتها، أنها لابُدَّ أن تُفارقها إذا تزوجت، ويبدو أنها كانت تعرف عن الإسلام بعضٍ مثله وقيمه -من أُسر مسلمة كانت تقيم فى النمسا- وكيف أن الإسلام يُحثُّ على البر بالأبوين، والإحسان إليهما، ومن ثم فإن المسلم الذى ستتزوجه سيحرص على أن تبر زوجته بأمها، وأن يُقيم معهما.

فقالت لابنتها: ألا تريدين الزواج؟ وأجابتها ابنتها: أنا لا أُريد أن أتركك!!

فقالت الأم: لكنك تستطيعين الزواج والبقاء معى!!

وسألت الفتاة: كيف يكون هذا؟!

قالت الأم: تتزوجين مسلمًا، وشرحت الأم لابنتها كل شيء، فما كان من الفتاة التى ملأت الفرحة قلبها إلا أن سافرت إلى ميونخ، وقصدت المركز الإسلامى الشهير، وكان ما كان.

ونكمل المسير مع النساء العائدات إلى الله تعالى، ومن الله عز وجل العون والسداد.

العائدة إلى الله من البغاء

روى الحسن البصرى -رحمه الله تعالى- فقال:

كانت امرأة بغىٌ[١] لها ثلث الحسن، لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار، وأنه أبصرها عابد فأعجبته.

فذهب فعمل بيديه، وعالج فجمع مائة دينار، ثم جاء إليها، فقال:

إنك أعجبتنى، فانطلقت فعملت بيدى، وعالجت[٢] حتى جمعت مائة دينار.

فقالت له: أدخل، فدخل، وكان لها سرير فجلست على سريرها، ثم قالت له: هلم، فلما جلس منها مجلس الخائن، ذكر مقامه بين يدى الله، فأخذته رعدة.

فقال لها: اتركينى أخرج، ولك المائة دينار.

قالت: ما بدا لك؟ قد زعمت أنك رأيتنى فأعجبتك!!

فذهبت، فعالجت، وكددت[٣] حتى جعت مائة دينار!!

فلما قدرت علىَّ فعلت الذى فعلت؟!

فقال لها: فرقًا[٤] من الله تعالى، ومن مُقامى بين يديه، وقد بُغضتِ[٥] إلىَّ، فأنت أبغض الناس إلىَّ.

---

(١) البغىُّ: مَنْ تمارس عمل الفحشاء أو جريمة الزنا مقابل أخذ أموال الناس.

(٢) أى اجتهدت فى العمل.

(٣) الكد: التعب.

(٤) الفَرقُ: الخوف.

(٥) أى: ألقيت البغضاء فى قلبى نحوك.

فقالت: إن كنت صادقًا، فما لى زوج غيرك.

فقال: دعينى أخرج.

فقالت: لا، إلا أن تجعل لى أن أتزوج بك.

قال: لا، حتى أخرج.

قالت: فلى عليك إن أنا أتيتك أن تتزوجنى.

قال: لعلَّ، فتقنع بثوبه، ثم خرج إلى بلده.

وارتحلت تائبة، نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده، فسألت عن اسمه ومنزله، فدُلت عليه، فقيل له: إن الملكة[١] قد جاءتك. فلما رآها شهق شهقة فمات[٢].

العائدة إلى الله من الهوى

روى بكر بن عبد الله المزنى -رحمه الله- فقال:

إن قصابًا[٣] ولع بجارية[٤] لبعض جيرانه، فأرسلها أهلها فى حاجةٍ لهم إلى قرية أخرى، فتبعها، فراودها عن نفسها[٥].

فقالت: لا تفعل، لأنا أشد حُبًّا لك منك لى، ولكنى أخاف الله تعالى.

قال: فأنت تخافينه، وأنا لا أخافه! فرجع تائبًا، فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه، فإذا هو برسول لبعض أنبياء بنى إسرائيل فسأله.

(١) قيل ذلك نظرًا لما ظهر من حسنها، وجمالها، وحسن هندامها.

(٢) روضة المحبين (ص/٤٤٧) لابن القيم.

(٣) القصاب: الجزار، وحرفته القصابة، وهذا اللقب إما أن يكون من القطع للشاة أو اللحم، وإما أن يكون لأنه يأخذ الشاة بقصبتها أى: بساقها.

(٤) ولع: عشق، وأحب، وتعلق.

(٥) المراودة: الدعوة إلى فعل المحرم.

قال: مالك؟

قال: العطش.

قال: تعال حتى ندعو الله حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية.

قال: مالى من عمل.

قال: فأنا أدعو وأَمِّنْ أنت.

قال: فدعا الرسول، وأمن هو.

قال: فأظلتهم سحابة حتى انتهوا إلى القرية، فأخذ القصاب إلى مكانه، ومالت السحابة، فمالت عليه فرجع الرسول، فقال:

زعمت أن ليس لك عمل، وأنا الذى دعوت، وأنت الذى أمنت، فأظلتنا سحابة، ثم تبعتك، لتخبرنى ما أمرك؟ فأخبره.

فقال الرسول: التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه[١].

العائدات الثلاثة إلى الله

عن سعيد بن عامر قال: حدثنى حسن أبو جعفر فقال:

كان لقمان الحبشى عبدًا لرجل جاء به إلى السوق يبيعه.

قال: فكان كلما جاء إنسان يشتريه قال له لقمان: ما تصنع بى؟

فيقول: أصنع بك كذا وكذ.

قال: حاجتى إليك ألا تشترينى، حتى جاء رجل، فقال: ما تصنع بى؟.

قال: أصيرك بوابًا على بابى.

قال: أنت اشترنى.

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا (ص/ ٤٤) فى «التوبة»، وأبو نعيم (٢/ ٢٣٠) فى حلية الأولياء.

قال: فاشتراه، وجاء به إلى داره.

قال: وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين فى القرية، وأراد أن يخرج إلى ضيعة له، فقال له: إنى قد أدخلت إليهن طعامهن، وما يحتجن إليه، فإذا خرجت فأغلق الباب، واقعد من ورائه، ولا تفتحه حتى أجىء.

قال: فقلن له: افتح الباب، فأبى عليهن، فشججنه، فغسل الدم، وجلس. فلما قدم سيده لم يخبره، ثم عاد مولاه بعدُ للخروج، فقال: إنى قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه، فلا تفتحن الباب.

فلما خرج، خرجن إليه، فقلن له: افتح الباب، فأبى، فشججنه ورجعن، فجلس، فلما أن جاء مولاه لم يخبره بشىء.

قال: فقالت الكبرى: ما بال هذا العبد الحبشى أولى بطاعة الله منى؟ والله لأتوبن. قال: فتابت.

فقالت الصغرى: ما بال هذا العبد الحبشى، وهذه الكبرى أولى بطاعة الله منى؟ والله لأتوبن. فتابت.

فقالت الوسطى: ما بال هاتين، وهذا العبد الحبشى أولى بطاعة الله منى؟

والله لأتوبن. فتابت.

فتبن إلى الله جميعًا، وكن عابدات القرية[1].

جارية ملك البصرة العائدة إلى الله

روى عن مالك بن دينار -رحمه الله- أنه كان يومًا ماشيًا فى أزقة البصرة، فإذا هو بجارية من جوارى الملوك راكبة ومعها الخدم، فلما رآها مالك، نادى:

---

(١) أخرجه ابن قدامة (ص/٩٦-٩٧) فى كتاب «التوابين».

أيتها الجارية، أيبيعك مولاك؟

قالت: كيف قلت يا شيخ؟

قال: أيبيعك مولاك؟

قالت: ولو باعنى كان مثلك يشترينى؟!!.

قال: نعم، وخيراً منك!!

فضحكت، وأمرت أن يحمل إلى دارها، فحمل، فدخلت إلى مولاها فأخبرته، فضحك وأمر أن يدخل إليه، فدخل، فألقيت له الهيبة فى قلب مولاها، فقال: ما حاجتك؟ قال: بعنى جاريتك.

قال: أو تطيق أداء ثمنها؟

قال: فثمنها عندى نواتان مسوِّستان.

فضحكوا، وقالوا: كيف كان ثمنها عندك هذا؟

قال: لكثرة عيوبها.

قالوا: وما عيوبها؟ قال: إن لم تتعطر زفرت، وإن لم تستك بخرت، وإن لم تمتشط وتدهن قملت وشعثت، وإن تعمَّر عن قليل هرمت، ذاتُ حيض وبول وأقذار جمة، ولعلها لا تودُك إلا لنفسها، ولا تحبك إلا لشغفها بك، لا تفى بعهدك، ولا تصدق فى ودك، ولا يخلف عليها أحد من بعدك إلا رأته مثلك، وأنا آخذ بدون ما سألت فى جاريتك من الثمن جارية خلقت من سلالة الكافور، لو مزج بريقها أجاج[1] لطاب، ولو دعى بكلامها ميت لأجاب، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه، ولو بدا فى الليل لسطع نوره، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتزخرفت، نشأت بين رياض المسك والزعفران، وقصرت فى أكنان النعيم، وغذيت بماء التسنيم، فلا تخلف عهدها، ولا يتبدل ودها، فأيهما أحق برفعة الثمن؟.

---

(١) البحر المالح.

قال: التى وصفت.

قال: فإنها الموجودة الثمن، القريبة المخطب.

قال: فما ثمنها رحمك الله؟

قال: اليسير المبذول، أن تفرغ ساعة فى ليلك فتصلى ركعتين تخلصهما لربك، وأن يوضع طعامك فتذكر جائعك، فتؤثر الله على شهوتك، وأن ترفع عن الطريق حجراً، أو قذراً، وأن تقطع أيامك بالبلغة، وترفع همتك عن دار الغفلة، فتعيش فى الدنيا بعز القنوع، وتأتى غداً إلى موقف الكرامة آمنًا، وتنزل غداً فى الجنة مخلداً.

فقال ملك البصرة: يا جارية، أسمعت ما قال الشيخ؟

قالت: نعم. قال: أفصدق أم كذب؟ قالت: بل صدق، وبر، ونصح.

قال: فأنت إذن حرة لوجه الله، وضيعة كذا وكذا صدقة عليك.

قالت الجارية: لا عيش لى بعدك يا مولاى، فتعبدا حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة(١).

العائدة إلى الله من كلام السوء

عن مروان بن محمد قال: دخلت عزة صاحبة كثير على أم البنين بنت عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- فقالت لها: يا عزة، ما معنى قول كثير:

قضى كل ذى دين علمت غريمه … وعزة ممطول معنى غريمها

ما هذا الدين الذى يذكره؟.

قالت: اعفينى.

قالت: لابد من إعلامك إياى.

---

(١) أخرجه ابن قدامة (ص/ ١٥٤-١٥٥) فى «التوابين».

فقالت عزة: كنت وعـدته قبلة، فأتانى لينتجزها، فـتحرجت عليه[١]، ولم أف له.

فـقالت لهـا أم البنين: أنجـزيها منه وعلىَّ إثمـهـا ثم راجعت نفـسهـا فاستغفرت الله، وأعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة.

وكانت إذا ذكرت ذلك بكت حتى تبلَّ خمارها، وتقول: ياليتنى خرس لسانى عندما تكلمت بها!!

وتعبدت عبادة ذكرت بها فى عصرها من شدة اجتهادها.

وفى لفظ آخر لهذا الخبر:

قالت أم البنين: أوفى بها، وعلىَّ إثمها.

فندمت أم البنين على قولها هذا، فأعتقت لكلمتها هذه سبعين رقبة[٢].

العائدة إلى الله من فتنة الجمال

عن سليمان بن خـالد قال: إن هشام بن عبد الملك ذكـرت له ربيبة[٢] لبعض عجائز الكوفة، موصوفة مشهورة ببارع الجمال، فائقة الحسن والكمال، قارئة لكتاب الله -عز وجل- راوية للأشعار مع عقل وأدب، فأمر أن يبرد إلى والى الكوفة أن تبتاع له بحكم مولاتها، ويعجل حملها إليه، وبعث فى ذلك خادمًا.

فلما ورد الكتـاب على الوالى، بعث إلى العجوز، فـابتاع منها الربيـبة بمائتى ألف درهم، وحديقة نخل تستغل منها كل سنة خمسمائة مثقال.

---

(١) أى: خافت من الإثم فتمنعت.

(٢) أخرجه ابن قتـيبة (٤/ ٩٢) فى عيون الأخبـار، وابن الجوزى (ص/ ١٨٠) فى ذم الهوى، وابن عساكر (ص/ ٢٤٥, ٤٨٢) فى تراجم النساء من تاريخ دمشق.

(٣) الربيبة: هى بنت المرأة فى حجر الرجل يعنى تُربى فى بيته.

وجهز الجارية، وحملها إلى هشام[١]، وفرغ لها مقصورة مفردة، أنزلها فيها مع وصائف[٢]، وأمر لها بأنواع اللباس، وفاخر الحليّ والفرش.

فبينا هو ذات يوم قد خلا بها فى مستشرف[٣] قد أعدت فيه الفرش والطيب، فتذاكرا فيه طرائف الأخبار، وبلاغة الآثار، فازداد بها سرورًا، واجتمعت مسرته، إذا صوارخ[٤]، فاستشرف هشام، فإذا بجنازة معها فئام[٥] من الناس ووراء الجنازة نسوة صارخات، ونادبة[٦] فيما بينهن تقول:

بأبى المحمول على الأعواد، المنطلق به إلى الأموات، المخلى فى قبره فريدا، والمكون فى لحده غريبا، ليت شعرى، أيها المنقول، أنت ممن يناشد حملته: أسرعوا بى، أم أنت ممن يناشدهم: ارجعوا بى، إلامَ تقدمونى؟.

قال: فأهملت[٧] عينا هشام دموعًا، فلها عن لذته، وجعل يقول:

كفى بالموت واعظًا.

فقالت غضيض: قد قطعت نياط[٨] قلبى هذه النادبة.

قال هشام: الأمر جد، فنادى الخادم، فنزل عن مستشرفه فمضى، فأغفت غضيض فى مجلسها، فأتاها آت فى منامها، وقال لها: أنت المفتنة بجمالك، والملهية بدلالك. كيف أنت إذا نقر فى الناقور، وبعثرت القبور، وخرجوا منها إلى النشور، وقوبلوا بالأعمال التى قدموها؟.

---

(١) هو هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى.
(٢) أى خادمات.
(٣) المكان العالى.
(٤) مَنْ يصرخن من النساء.
(٥) الفئام: الجماعات.
(٦) النادبة: من الندب، وخروج النساء إلى الجنائز من الأمور المنهى عنها شرعًا، والنادبة هى التى تندب الميت بذكر محاسنه، وهو أمرٌ منهىٌّ عنه.
(٧) أهملت: أسقطت، والمراد سقوط الدموع.
(٨) نياط: عروق.

فاستيقظت مرتاعة[١]، وراحت من شرابها، فنادت بعض وصائفها، ودعت بماء فاغتسلت، وألقت عنها لباسها وحليها، وتدرعت بمدرعة[٢] صوف، واقتحمت مجلس هشام، فلما رآها أنكرها، فنادت: أنا غضيض أمتك، أتاني النذير ففزع مسامعي وعيده، وقد قضيت مني وطراً[٣]، وقد أتيتك لتعتقني من رق الدنيا.

فقال هشام: اذهبي، فأنت حرة لوجه الله تعالى.

قال: أي موضع تقصدين؟.

قالت: أؤم[٤] بيت الله الحرام. قال: انطلقي، فلا سبيل لأحد عليك.

فخرجت من دار الخلافة زاهدة في الدنيا، راغبة في الآخرة، حتى بلغت مكة، وأقامت مجاورة قائمة[٥]، تعود على نفسها بالغزل في قوتها، فإذا أمست طافت، ثم تدخل الحجر[٦]، وتقول:

يا ذخري أنت عدتي، لا تقطع رجائي، وأنلني مُناي، وأحسن منقلبي، وأجزل عطائي.

فلم تزل في الاجتهاد حتى غير مر الجديدين الليل والنهار بشرتها، وطول القيام جسمها، وكثرة البكاء عينيها، وقرح المغزل[٧] بنانها، حتى توفيت -رحمة الله عليها- على ذلك[٨].

---

(١) أي مفزوعة خائفة.
(٢) الدرع من ثياب النساء معروف كالبردة للرجال.
(٣) الوطر: المتعة.
(٤) أي: أقصد.
(٥) المجاورون هم من يسكنون بجوار الحرم المكي.
(٦) المراد: حجر إسماعيل بمحاذاة الكعبة.
(٧) القرح: الألم، والآثار التي تحدث بالبدن.
(٨) أخرجه ابن قدامة (ص/١٥٨-١٦٠) في «التوابين».

عائدة إلى الله فى الطواف

يقول وهيب بن الورد -رحمه الله-: بينما امرأة فى الطواف ذات يوم، وهى تقول: يا رب، ذهبت اللذات، وبقيت التبعات[١].

يا رب.

سبحانك، وعزتك إنك أرحم الراحمين.

يا رب.

ما لك عقوبة إلا النار؟!.

فقالت: صاحبة لها كانت معها: أخية، دخلت بيت ربك اليوم؟.

فقالت والله ما أرى هاتين أهلاً للطواف حول بيت ربى، فكيف أراهما أهلاً أطأ بهما بيت ربى؟! وقد علمت حيث مشتا[٢]، وأين مشتا؟![٣].

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض[٤] للربيع بن خيثم لعلها تفتنه، وجعلوا لها، إن فعلت ذلك، ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها، فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهى سافرة[٥]، فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟!.

أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟![٦].

(١) التبعات: جمع تبعة، وهى حقوق العباد.

(٢) أى سارت بهما إلى المعاصى، والسيئات التى تعلمها من نفسها.

(٣) أخرجه ابن الجوزى (٤/ ٤١٥) فى صفة الصفوة.

(٤) أى: تعترض طريقه بالبروز أمامه.

(٥) كاشفة عن وجهها.

(٦) الوتين عرقٌ فى القلب إذا انقطع مات صاحبه.

أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟! فصرخت صرخة فسقطت مغشيًّا عليها. فوالله لقد أفاقت[١]، وبلغت من عبادة ربها مـا أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع[٢] محترق[٣].

عائدة إلى الله من فتنة الرجال

ذكر ابن الجـوزى وغيره أن امرأة جـميلة كانت بمكة، وكـان لها زوج، فنظرت يومًـا إلى وجهـها فى المرآة، فـقالت لزوجـها: أترى أحـدًا يرى هذا الوجه، ولا يفتن به؟.

قال: نعم، قالت: من؟.

قال: عبيد بن عمير[٤]، قالت: فائذن لى فيه فلأفتننه؟.

قال: قد أذنت لك. قـال: فأتته كالمستفـتية، فخلا معهـا فى ناحية من المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر[٥].

فقال لها: يا أمة الله، استترى.

فقالت: إنى قد فتنت بك.

قال: إنى سائلك عن شىء، فإن أنت صدقتنى نظرت فى أمرك؟

قالت: لا تسألنى عن شىء إلا صدقتك.

قال: أخبـرينى لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك، أكـان يسرك أن أقضى لك هذه الحاجة؟!.

---

(١) أفاقت من غفلتها.

(١) أى: كالجذع من شدة خشيتها وخشوعها.

(٣) أخرجه ابن الجوزى (٣/ ١٩١) فى صفة الصفوة.

(٤) أحد العُبَّاد الزهاد الأوائل.

(٥) كناية عن شدة جمالها.

قالت: اللهم لا.

قال: صدقت.

قال: فلو دخلت قبرك، وأجلست للمساءلة، أكان يسرك أنى قضيتها لك؟.

قالت: اللهم لا.

قال: صدقت.

قال: فلو أردت الممر على الصراط، ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين، أكان يسرك أنى قضيتها لك؟

قالت: اللهم لا.

قال: صدقت.

قال: فلو جيء بالميزان، وجيء بك، فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل، أكان يسرك أنى قضيتها لك؟.

قالت: اللهم لا.

قال: صدقت.

قال: فلو وقفت بين الله للمساءلة، أكان يسرك أنى قضيتها لك؟

قالت: اللهم لا.

قال: صدقت.

قال: اتقى الله، فقد أنعم الله عليك، وأحسن إليك.

قال: فرجعت إلى زوجها، فقال لها: ما صنعت؟

قالت: أنت بطال، ونحن بطالون. فأقبلت على الصوم والصلاة والعبادة، فكان زوجها يقول: مالى ولعبيد بن عمير، أفسد علىَّ امرأتى، كانت فى كل ليلة عروسًا، فسيرها راهبة[1].

---

(١) أورده ابن القيم (ص/ ٣٤٠) فى روضة المحبين.

عائدة إلى الله عند الكعبة المشرفة

قال مالك بن دينار -رحمه الله-:

بينا أنا أطوف، إذا أنا بجارية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة، وهى تقول:

يا رب كم من شهوة ذهبت لذتها، وبقيت تبعتها؟!.

أيا رب أمالك أدب وعقوبة إلا النار؟!.

فما زال مقامها حتى طلع الفجر، فلما رأيت ذلك، وضعت يدى على رأسى خارجًا، أقول: ثكلت مالكًا أمه، جويرية منذ الليلة قد بطلته[١]؟!

وطائفة بالبيت والليل مظلم	تقول ومنها دمعها يتسجم[٢]
أيارب كم من شهوة رزئتها[٣]	ولذة عيش حبلها متصرم[٤]
أما كان يكفى للعباد عقوبة	ولا أدبًا إلا الجحيم المضرمُ
فما زال ذاك القول منها تضرعًا	إلى أن بدا فجر الصباح المقدم
فشبكت منى الكف أهتف خارجًا	على الرأس أبدى بعض ما كنت أكتم
وقلت لنفسى إذ تطاول ما بها	وأعيى عليها وردها المتغنم
ألا ثكلتك اليوم أمك مالكًا	جويرية ألهاك منها التكلم
فما زلت بطالاً بها طول ليلة	تنال بها حظًّا جسيمًا وتغنم[٥]

(١) يعنى عطلته عن العبادة.

(٢) يتسجم: يسيل

(٣) أصبت بها.

(٤) متقطع منقض.

(٥) أورده ابن القيم (ص/ ٣٣٠) فى روضة المحبين، وأخرجه ابن الجوزى (٤/ ٤١٤) فى صفة الصفوة.

عائدة إلى الله من تضييع الأوقات

كانت معاذة العدوية إذا جاء النهار قالت: هذا يومى الذى أموت فيه، فما تنام حتى تمسى، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتى التى أموت فيها، فلا تنام حتى تصبح، فكانت تحيى الليل صلاة، فإذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار، وهى تقول:

يا نفس، النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك فى القبر على حسرة أو سرور.

وكانت تقول:

عجبت لعين تنام، وقد عرفت طول الرقاد فى ظلم القبور[١].

عائدة إلى الله عن نزوات الشباب

قال أبو سعد بن أبى عمامة: إن رجلاً أحب امرأة فأحبته، فاجتمعا، فراودته المرأة عن نفسه، فقال:

إن أجلى ليس بيدى، وأجلك ليس بيدك، فربما كان الأجل قد دنا فنلقى الله عاصين!!

فقالت: صدقت، فتابا، وحسنت حالتهما[٢].

عائدة إلى الله عن أيام الغفلة

جارية خالد الوراق، عابدة من العابدات، وزاهدة من الزاهدات.

---

(١) أخرجه ابن الجوزى (٤/ ٢٢) فى صفة الصفوة.

(٢) أورده ابن الجوزى (ص/ ٢١٣) فى ذم الهوى.

أرادت أن تتوب عن أيام الغفلة والتقصير، فجدت فى الطاعات، وتسابقت فى الباقيات الصالحات، على أمل فى تكفير السيئات، ومحو الخطيئات.

يقول خالد الوراق حاكيًا شيئًا من اجتهادها فى توبتها:

كانت لى جارية شديدة الاجتهاد، فدخلت عليها يومًا، فأخبرتها برفق الله، وقبوله يسير العمل. فبكت، ثم قالت:

إنى لأؤمل من الله تعالى آمالاً لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإنى لأعلم أنِ فى كرم الله مستغاثًا لكل مذنب، ولكن كيف لى بحسرة السباق؟.

قال: قلت: وما حسرة السباق؟.

قالت: غداة الحشر، إذا بعثر ما فى القبور، وركب الأبرار نجائب الأعمال، فاستبقوا إلى الصراط، والله لا يسبق مقصر مجتهدًا أبدًا، ولو حبا المجد حبوًا.

أم كيف لى بموت الحزن والكمد؟!

قال: قلت: وما موت الحزن والكمد؟!

قالت: إذا رأيت القوم يتراكضون وقد رفعت أعلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون، ووصل إلى الله المحبون، وخلفت مع المسيئين المذنبين!!. ثم بكت وقالت: انظر، لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالأعمال، فإنه ليس بين الدارين دار يدرك فيها الخدام ما فاتهم من الخدمة.

فويل لمن قصر عن خدمة سيده، ومعه الآمال، فهلا كانت الأعمال توقظه إذا نام البطالون[1]؟!

(١) أخرجه ابن الجوزى (٤/٤٦) فى صفة الصفوة.

زجلة العائدة إلى الله تعالى

وفى مثل حال جارية خالد الوراق وتوبتها حال زجلة العابدة وتوبتها.

قالوا عنها الكثير، فهى عابدة، تقية، قانتة، زاهدة، عفيفة إلى غير ذلك من الصفات الطيبة التى أطلقت عليها.

دخل عليها بعض أهلها، وسألوها أن ترفق بنفسها فى عبادة ربها.

فقالت زجلة العابدة: مالى وللرفق بها، فإنما هى أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شىء لم يدركه غداً.

والله يا إخوتاه لأصلين ما أقلتنى جوارحى، ولأصومن له أيام حياتى، ولأبكين له ما حملت الماء عيناى.

ثم قالت: أيكم يأمر عبده فيحب أن يقصر فيه؟.

وعاشت زجلة التائبة، ولقيت ربها تائبة.

وممن تُبْنَ عن أيام الغفلة عابدة من عابدات أهل البصرة.

يقص علينا خبر توبتها التابعى الجليل سعيد بن جبير، فيقول -رحمه الله-: ما رأيت أدعى لحرمة هذا البيت، ولا أحرص عليه من أهل البصرة. ولقد رأيت جارية منهم ذات ليلة تعلقت بأستار الكعبة، فجعلت تدعو، وتبكى، وتتضرع حتى ماتت[1].

سبحان ربى العظيم!!!.

البكاء حسرة وندامة على ما ضاع من العمر فى غير طاعة.

البكاء حسرة وندامة على ذنوب الليل، وآثام النهار.

---

(١) أخرجه ابن الجوزى (٤/ ٤٠، ٤٨) فى صفة الصفوة.

عائدة إلى الله تبكى حتى الإغماء

يروى سعيد بن الأزرق الباهلى، فيقول: دخلت الطواف حول الكعبة ليلاً، فبينما أنا أطوف، وإذا امرأة فى الحجر ملتزمة للبيت قد علا نشيجها، فدنوت منها وهى تقول:

يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الأوهام والظنون، ولا تغيره الحوادث ولا يصفه الواصفون.

يا عالمًا بمثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار.

لا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضا، ولا جبل ما فى وعره، ولا بحر ما فى قعره.

أسألك أن تجعل خير عمرى آخره، وخير عملى خواتمه، وخير أيامى يوم لقاك، وخير ساعاتى مفارقة الأحياء من دار الفناء إلى دار البقاء التى تكرم فيها من أحببت من أوليائك، وتُهين فيها من أبغضت من أعدائك.

أسألك إلهى عافية جامعة لخير الدنيا والآخرة، منًّا منك على وتطولا، يا ذا الجلال والإكرام، ثم صرخت، وغشى عليها[١].

عائدة إلى الله من عيش المترفات

كان أبو شعيب البراثى[٢] أول من سكن براثى فى كوخ يتعبد فيه، فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار، كانت رُبيت فى قصور الملوك.

فنظرت إلى أبى شعيب فاستحسنت حاله، وما كان عليه، فصارت

---

(١) أخرجه ابن الجوزى (٤١٦/٤) فى صفة الصفوة.

(٢) براثا: بلدة فى العراق.

كالأسير له[١]، فعزمت على التجرد من الدنيا، فجاءت إليه، وقالت: أريد أن أكون لك خادمة، فقال لها: إن أردت ذلك فغيرى من هيئتك، وتجردى عما أنت فيه حتى تصلحى لما أردت.

فتجردت عن كل ما تملكه، وحضرته فتزوجها، فلما دخلت الكوخ، قالت: سمعتك تقول:

إن الأرض تقول: يا بن آدم، تجعل اليوم بينى وبينك حجابًا، وأنت غدًا فى بطنى؟!.

فمكثت معه سنين كثيرة تتعبد أحسن عبادة، وتوفيا على ذلك متعاونين[٢].

عائدة إلى الله فى العهد النبوى

روى عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ أتته امرأة من جهينة، وهى حبلى من الزنا، فقالت:

يا رسول الله، أصبت حدًّا فأقمه على، فدعا نبى الله ﷺ وليها.

فقال له: **«أحسن إليها، فإذا وضعت فائتنى بها»**.

ففعل، فأمر بها نبى الله ﷺ فشدت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر بن الخطاب ﷺ:

تصلى عليها يا نبى الله وقد زنت؟!!!.

فقال -عليه الصلاة والسلام-:

«لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى».

---

(١) أى: تأثرت بمواعظه وكلماته.

(٢) أخرجه ابن الجوزى (٢/ ٥٢٣) فى صفة الصفوة.

قوله: «**أحسن إليها فإذا وضعت فائتنى بها**»[١].

هذا الإحسان له سببان:

أحدهما: الخوف عليها من أقاربها أن تحملهم الغيرة، ولحوق العار أن يؤذوها، فأوصى بالإحسان إليها تحذيرًا لهم من ذلك.

والثانى: أمر به رحمة لها، إذ قد تابت، وحرض على الإحسان إليها، لما فى نفوس الناس من النفرة من مثلها، وإسماعها الكلام المؤذى، ونحو ذلك، فنهى عن هذا كله.

«إذا وضعت»: أى حملها.

شدت عليها ثيابها: الغرض من ذلك ألا تنكشف عند وقوع الرجم عليها، لما جرت به العادة من الاضطراب عند نزول الموت، وعدم المبالاة بما يبدو من الإنسان.

ولهذا ذهب الجمهور من أهل العلم إلى أن المرأة ترجم قاعدة، والرجل قائمًا، لما فى ظهور عورة المرأة من الشناعة، ولا شك أنه أقرب إلى الستر.

أما قوله: «لوسعتهم» -بكسر السين- أى: لكفتهم، يعنى: تابت توبة تستوجب مغفرة ورحمة تستوعبان سبعين من أهل المدينة.

عائدة إلى الله من غامد

وروى بريدة ﷺ أن امرأة من غامد من الأزد جاءت إلى الرسول ﷺ.

فقالت: يا رسول الله، طهرنى.

فقال: «**ويحك ارجعى فاستغفرى الله وتوبى إليه**».

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه مسلم (١٦٩٦)، وأبو داود (٤٤١٧)، والترمذى (١٤٦٢)، والنسائى (٤/ ٦٣).

فقالت: أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك؟!.

قال: «**وما ذاك؟**».

قالت: إني حبلى من الزنا!!.

فقال: آنت؟ قالت: نعم.

فقال لها: «**حتى تضعي ما في بطنك**» قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت.

قال: فأتى النبي ﷺ، فقال: قد وضعت الغامدية.

فقال: «**إذن لا نرجمها وندع ولدها صغيرا، ليس له من يرضعه**».

فقام رجل من الأنصار، فقال: إليَّ رضاعه يا نبي الله، قال: فرجمها[1].

قوله: «حتى تضعي ما في بطنك» فيه: أنه لا ترجم الحبلى حتى تضع، سواء كان حملها من زنا أو غيره، وهذا مجمع عليه لئلا يقتل جنينها، وكذا لو كان حدها الجلد، وهي حامل لم تجلد بالإجماع حتى تضع.

وفيه: أن المرأة ترجم إذا زنت وهي محصنة كما يرجم الرجل.

وفيه: أن من وجب عليها القصاص وهي حامل لا يقتص منها حتى تضع، وهذا مجمع عليه، ثم لا ترجم الحامل الزانية، ولا يقتص منها بعد وضعها حتى تسقي ولدها اللبأ، ويستغني عنها بلبن غيرها.

فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت أي: قام بمؤنتها ومصالحها، وليس هو من الكفالة التي هي بمعنى الضمان، لأن هذا لا يجوز في الحدود التي لله تعالى.

---

(١) حديث صحيح. أخرجه مسلم (١٦٩٥)، والدارقطني (٣/ ٩٢) في سننه.

فهذا الأنصاري الذي كفلها، فقصد مصلحة، وهو الرفق بها، ومساعدتها على تعجيل طهارتها بالحد، لما رأى بها من الحرص التام على تعجيل ذلك.

قال العلامة البغوي -رحمه الله تعالى-: في الحديث دليل على أنه إذا وجبت على الحامل عقوبة لا تقام عليها ما لم تضع الحمل، لأن في معاقبتها قبل الوضع إهلاك البريء بسبب المجرم، سواء كانت العقوبة لله سبحانه وتعالى، أو للعباد، فإذا وضعت الحمل، فإن لم يكن ثم من ترضع الولد فتؤخر حتى تفطم الولد، وإن كان هناك من ترضعه.

عائدة إلى الله من غامد

وقد روى حديث بريدة بلفظٍ آخر على النحو التالي:

قال بريدة ﷺ: إن امرأة من غامد أتت النبي ﷺ، فقالت: إني قد فجرت. فقال: «**ارجعي**» فرجعت، فلما كان الغد أتته فقالت: لعلك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك؟!

فوالله إني لحبلى، فقال لها: «**ارجعي**» فرجعت، فلما كان الغد أتته، فقال لها: «**ارجعي حتى تلدي**». فرجعت، فلما ولدت أتته بالصبي، فقالت: هذا قد ولدته، فقال: «**ارجعي، فأرضعيه حتى تفطميه**». فجاءت به وقد فطمته، وفي يده شيء يأكله، فأمر بالصبي فدفع إلى رجلٍ من المسلمين، فأمر بها فحفر لها، وأمر بها فرجمت، وكان خالد بن الوليد فيمن يرجمونها، فرجمها بحجر فرمى رأسها، فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها، فقال: «**مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له**» ثم أمر بها فصلى عليها، ودفنت[1].

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه مسلم (١٦٩٥)، وأبو داود (٤٤٣١)، والبيهقي (٨/٢١٨) في سننه الكبرى.

«حتى تفطميه» أى: تفصليه من الرضاع.

فسبها: أى شتمها.

«مهلاً» أى: أمهل مهلاً، وأرفق رفقًا، فإنها مغفورة فلا تسبها.

«صاحب مكس» هو من يتولى الضرائب التى تؤخذ من الناس بغير حق.

وفيه: أن المكس من أقبح المعاصى والذنوب الموبقات، وذلك لكثرة مطالبات الناس له، وظلاماتهم عنده، وتكرر ذلك منه، وانتهاكه للناس، وأخذ أموالهم بغير حقها، وصرفها فى غير وجهها.

وفيه: أن توبة الزانى لا تسقط عنه حد الزنا، وكذا حكم حد السرقة، والشرب.

وفى هذه الرواية للحديث النبوى نجد أنها تخالف الرواية السابقة، فإن هذه صريحة فى أن رجمها كان بعد فطامه، وأكله الخبز، والرواية السابقة ظاهرها أن رجمها كان عقيب الولادة.

فالواجب تأويل السابقة، وحملها على هذه الرواية، لأنها قضية واحدة، والروايتان صحيحتان، وهذه الرواية صريحة لا يمكن تأويلها، والسابقة ليست بصريحة، فيتعين تأويل السابقة، ويكون قوله فى الرواية الأولى: قام رجل من الأنصار، فقال: إلىَّ رضاعه، إنما قاله بعد الفطام، وأراد بالرضاعة كفالته، وتربيته، وسماه رضاعًا مجازًا.

هذه طريقة للجمع بين الروايتين.

وقيل: يحتمل أن يكونا امرأتين، ووقع فى الرواية السابقة امرأة من جهينة، وفى هذه الرواية امرأة من غامد، وهذا الاحتمال ضعيف.

أختى المسلمة...

أفاد الحديث النبوى الذى قرأتيه ما يلى:

١- من خلق المؤمن التألم والندم إذا فـرط منه الذنب، وحرصه على تطهـير نفـسه من لوثة الإثم، ولو كـان فى ذلك هلاك نفـسه، ليلقى الله -عـز وجل- وهو عنه راض.

٢- العقوبة الدنيوية تكفر ذنب المعصية إذا اقترن ذلك بالندم والتوبة.

٣- لا يقام حد الزنا على الحـامل حتى تضع حملها، فـإن كان حدها الجلد، فحتى تطـهر من نفاسها، وإن كـان الرجم، فحتى يستـغنى الولد عنها، ولو بلبن غيرها.

العائدة إلى الله من السخط على القدر

روى أنس بن مالك ﷺ أن النبى ﷺ مر بامرأة تبكى عند قبر، فقال: **«اتقى الله واصبرى»**.

قالت: وما تبالى بمصيبـتى، إليك عنى، فإنك لم تصب بمصيبتى، ولم تعرفه، فلما ذهب، قيل لها: إنه رسول الله ﷺ، فأخذها مثل الموت، فأتت النبى ﷺ فلم تجـد عنده بوابين، فقـالت: يا رسول الله لم أعـرفك. فـقال رسول الله ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[١].

وما تبالى بمصيبتى يقال: باليته وباليت به، أى: ما تكترث.

فأخـذها مـثل الموت أى: من شدة الكرب الذى أصـابها لما عـرفت أنه رسول الله ﷺ خجلاً منه ومهابة.

أما قوله ﷺ: «**اتقى الله** واصبرى» الظاهر أنه كـان فى بكائها قدر زائد منْ نوح أو غيره، ولهذا أمرها بالتقوى.

«واصبرى» كأنه قال لها: خـافى غضب الله إن لم تصبرى، ولا تجزعى ليحصل لك الثواب.

---

(١) حديث صحيح. أخرجه البخارى (١٢٨٣)، ومسلم (٦٢٦)، وأحمد (٣/ ١٤٣).

فأتت النبى ﷺ فلم تجد عنده بوابين: فائدة هذه الجملة من هذا الخبر: بيان عذر هذه المرأة فى كونها لم تعرفه، وذلك أنه كان من شأنه ألا يتخذ بوابًا مع قدرته على ذلك تواضعًا، وكان من شأنه أنه لا يستتبع الناس وراءه إذا مشى، كما جرت عادة الملوك والأكابر، فلذلك اشتبه على المرأة فلم تعرفه، مع ما كانت فيه من شاغل البكاء.

وقال العلامة الطيبى -رحمه الله-: فائدة هذه الجملة أنه لما قيل لها: إنه النبى ﷺ استشعرت خوفًا وهيبة فى نفسها، فتصورت أنه مثل الملوك له حاجب وبواب يمنع الناس من الوصول إليه، فوجدت الأمر بخلاف ما تصورته.

«الصبر عند الصدمة الأولى» المعنى: إذا وقع الثبات أول شىء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع فذلك هو الصبر الكامل الذى يترتب عليه الأجر.

وأصل الصدم: ضرب الشىء الصلب بمثله، فاستعير للمصيبة الواردة على القلب.

قال العلامة الخطابى -رحمه الله-: المعنى أن الصبر الذى يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك، فإنه على الأيام يسلو فقال العلامة الطيبى -رحمه الله-: صدر هذا الجواب منه ﷺ عن قولها لم أعرفك على أسلوب الحكيم، كأنه قال لها: دعى الاعتذار، فإنى لا أغضب لغير الله، وانظرى لنفسك.

وقال ابن المنير -رحمه الله-: فائدة جواب المرأة بذلك أنها لما جاءت طائعة لما أمرها من التقوى والصبر معتذرة عن قولها الصادر عن الحزن، بين لها أن حق هذا الصبر أن يكون فى أول الحال، فهو الذى يترتب عليه الثواب.

ويؤيده أنه فى رواية أخرى قالت: أنا أصبر، أنا أصبر.

أختى المسلمة...

فى هذا الحديث النبوى الكثير من الفوائد العلمية ما يلى:

١- ما كان عليه النبى ﷺ من التواضع والرفق بالجاهل، ومسامحة المصاب، وقبول اعتذاره، وملازمة الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.

٢- أن القاضى لا ينبغى له أن يتخذ من يحجبه عن حوائج الناس، وأن من أمر بمعروف ينبغى له أن يقبل لو لم يعرف الآمر.

٣- أن الجزع من المنهيات، لأمره لها بالتقوى مقرونًا بالصبر.

٤- الترغيب فى احتمال الأذى عند بذل النصيحة، ونشر الموعظة، وأن المواجهة بالخطاب إذا لم تصادف المنوى لا أثر لها.

عودة شمس البارودى إلى الله

من كتابها «رحلتى من الظلمات إلى النور» تبدأ فتقول عن سبب توبتها[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

البداية كانت فى نشأتى، والنشأة لها دور مهم، والدى بفضل الله رجل متدين، التدين البسيط العادى، وكذلك كانت والدتى، رحمهما الله.

كنت أصلى ولكن ليس بانتظام، كانت بعض الفروض تفوتنى، ولم أكن أشعر بفداحة ترك فرض من فروض الصلاة.

وللأسف كانت مادة الدين فى المدارس ليست أساسية، وبالطبع لم يكن يرسب فيها أحد، ولم يكن الدين علمًا أساسيًّا مثل باقى العلوم الأخرى الدنيوية.

---

(١) كتاب رحلتى (ص/١٦-٢٩).

وعندما حصلت على الثانوية العامة كانت رغبتى إما فى دخول كلية الحقوق، أو دراسة الفنون الجميلة، ولكن المجموع لم يؤهلنى لأيهما، فدخلت معهد الفنون المسرحية، ولم أكمل الدراسة فيه حيث مارست مهنة التمثيل، وأشعر الآن كأننى دفعت إليها دفعًا! فلم تكن فى يوم من الأيام حلم حياتى، ولكن بريق الفن، والفنانين والسينما والتلفزيون كان يغرى أى فتاة فى مثل سنى -كان عمرى آنذاك ١٦-١٧ سنة- خاصة مع قلة الثقافة الدينية الجيدة.

وأثناء عملى بالتمثيل كنت أشعر بشىء فى داخلى يرفض العمل حتى أنى كنت أظل عامين أو ثلاثة دون عمل حتى يقول البعض: إنى اعتزلت!

والحمد لله كانت أسرتى ميسورة الحال من الناحية المادية، فلم أكن أعمل لحاجة مادية.

وكنت أنفق العائد من عملى على ملابسى ومكياجى وما إلى ذلك، استمر الوضع حتى شعرت أنى لا أجد نفسى فى هذا العمل.

وشعرت أن جمالى هو الشىء الذى يستغل فى عملى بالتمثيل، وعندها بدأت أرفض الأدوار التى تعرض على، والتى كانت تركز دائما على جمالى الذى وهبنى الله إياه، وعند ذلك قل عملى جدًا.

كان عملى بالتمثيل أشبه بالغيبوبة، كنت أشعر أن هناك انفصامًا بين شخصيتى الحقيقية والوضع الذى أنا فيه، وكنت أجلس أفكر فى أعمالى السينمائية التى يراها الجمهور.

ولم أكن أشعر أنها تعبر عنى، وأنها أمر مصطنع، كنت أحس أننى أخرج من جلدى -وبدأت أُمثل مع زوجى الأستاذ حسن يوسف فى أدوار أقرب لنفسى فحدثت لى نقلة طفيفة من أن يكون المضمون لشكلى فقط بل هناك جانب آخر.

أثناء ذلك بدأت أواظب على أداء الصلوات بحيث لو تـركت فرضًا من الفروض أستغفر الله كثيرًا بعد أن أصليه قضاء.

وكان ذلك يحزننى كثيرًا، كل ذلك ولم أكن ألتزم بالزى الإسلامى!.

وقبل أن أتزوج كنت أشترى ملابس من أحدث بيوت الأزياء فى مصر، وبعد أن تـزوجت كان زوجى يصـحبنى للسـفر خـارج مصر لشـراء الملابس الصيفية والشتـوية!!. أتذكر هذا الآن بشىء من الحزن، لأن مثل هذه الأمور التافهة كانت تشغلنى.

ثم بدأت أشتـرى ملابس أكثـر حشمة، وإن أعـجبنى ثوب بكمٍّ قصـير كنت أشترى معـه «جاكيت» لستر الجزء الظاهر من الجـسم، كانت هذه رغبة داخلية عندى.

وبدأت أشعر برغـبة فى ارتداء الحجاب ولكن بعض المحـيطين بى كانوا يقولون لى: إنك الآن أفضل!!.

بدأت أقرأ فى المصـحف الشريف أكثـر، وحتى تلك الفتـرة لم أكن قد ختمت القرآن الكريم قراءة، كنت أختمه مع مجموعة من صديقات الدراسة، ومن فـضل الله أننى لـم تكن لى صـداقـات فى الوسط الفـنى، بل كـانت صداقـاتى هى صداقـات الطفولة، كنت أجـتمع وصـديقاتى -حـتى بعد أن تزوجت- فى شـهر رمـضان الكريم فى بيت واحـدة منا نقرأ القـرآن الكريم ونختمه، وللأسف لم تكن منهن من تلتزم بالزى الشرعى.

فى تلك الفتـرة كنت أعمل دائمًا مع زوجى سواء كـان يمثل معى، أو يخرج لى الأدوار التى كنت أمثـلها، وأنا أحكى هذا الآن ليس باعتباره شـيئًا جميلاً فى نفسى، ولكن أتحدث عن فترة زمنية عندما أتذكرها أتمنى لو تُمحى من حياتى، ولو عدت إلى الوراء لما تمنيت أبدًا أن أكون من الوسط الفنى!!

كنت عندمـا أذهب إلى المصـيف أتأخـر فى نزول البـحر إلى مـا بعـد

الغروب، ومغادرة الجميع للمكان إلا من زوجى، وأنا أقول هذا لأن هناك من نظن أن بينهـا وبين الالتزام هوة واسـعة، ولكن الأمـر -بفضل الله- سـهل ميسور.

فالله يقول فى الحديث القدسى:

«ومن تقرب إلى شبـرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقـرب إلىَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة»(١).

وكانت قراءتى فى تلك الفـترة لبرجسون، وسارتر، وفـرويد، وغيرهم من الفلسـفات التى لا تقـدم ولا تؤخر، وكنت أدخل فى مناقـشات جـدلية فلسفية، وكانت عندى مكتبة، ولكنى أحجمت عن هذه القراءات، دون سبب ظاهر.

كانت عندى رغبة قوية فى أداء العمرة، وكنت أقول فى نفسى:

إننى لا أستطيع أن أؤدى العمرة إلا إذا ارتديت الحجاب لأنه غير معقول أن أذهب لبيت الله دون أن أكون ملتزمة بالزى الإسلامى.

لكن هناك من قلن لى: لا.. أبدًا.. هذا ليس شرطًا!!.

كان ذلك جهلاً منهـن بتعاليم الإسلام لأنهن لم يتغيـر فيهن شىء بعد أدائهن العمرة. وذهب زوجى لأداء الـعمرة ولم أذهب معه لخـوفى أن تتأخر ابنتى فى الدراسة، فى فترة غيابى.

ولكنها أصـيبت بنزلة شعبـية، وانتقلت العـدوى إلى ابنى، ثم انتقلت إلىَّ، فصـرنا نحن الثلاثة مـرضى، فنظرت إلى هذا الأمـر نظرة فيهـا تدبر، وكأنها عقاب على تأخرى عن أداء العمرة.

وفى العام التالى ذهبت لأداء العمرة، وكان ذلك سنة ١٩٨٢م فى شهر

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه الـبخارى (٧٥٣٦)، ومـسلم (٢٦٧٥)، وأحـمد (٢/٣١٦، ٥٠٩).

«فبراير»، وكنت عائدة فى «ديسمبر» من باريس، وأنا أحمل أحدث الملابس من بيوت الأزياء!.

كانت ملابس محتشمة، ولكنها أحدث موديل، وعندما ذهبت واشتريت ملابس العمرة البيضاء كانت أول مرة ألبس الثياب البيضاء دون أن أضع أى نوع من المساحيق على وجهى ورأيت نفسى أكثر جمالاً.

ولأول مرة سافرت دون أن أصاب بالقلق على أولادى لبعدى عنهم، وكانت سفرياتى تصيبنى بالفزع والرعب خوفا عليهم، وكنت آخذهم معى فى الغالب.

وذهبت لأداء العمرة مع وفد هيئة قناة السويس، وعندما وصلت إلى الحرم النبوى بدأت أقرأ فى المصحف دون أن أفهم الآيات فهمًا كاملاً لكن كان لدى إصرار على ختم القرآن فى المدينة ومكة.

وكانت بعض المرافقات لى يسألننى: هل ستتحجبين؟ وكنت أقول: لا أعرف، كنت أعلق ذلك الأمر على زوجى، هل سيوافق أم لا؟!.

ولم أكن أعلم أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وفى الحرم المكى وجدت العديد من الأخوات المسلمات اللائى كن يرتدين الخمار، وكنت أفضل البقاء فى الحرم لأقرأ القرآن الكريم، وفى إحدى المرات أثناء وجودى فى الحرم بين العصر والمغرب التقيت بإحدى الأخوات، وهى مصرية تعيش فى الكويت، اسمها: «أروى».

قرأت علىّ أبياتًا من الشعر الذى كتبته هى فبكيت، لأننى استشعرت أنها مسّت شيئًا فى قلبى وكنت فى تلك الفترة تراودنى فكرة الحجاب كثيرًا ولكن الذين من حولى كانوا يقولون لى: انتظرى حتى تسألى زوجك.. لا تتعجلى.. أنت ما زلت شابة.. إلخ.

ولكن كانت رغبتى دائما فى ارتداء الحجاب.

قالت الأخت «أروى»:

فليــقــولـوا عن حـــجـــابى

لا وربـــى لــــن أبــــالـــى

قـــد حـــمـــانى فـــيـــه دينى

وحـــبـــانى بـالجـــلال

زيـننى دومًـــا حـــيـــائى

واحـــتـــشـــامى هو مـــالى

ألأنـــــى أتـــولـــــى

عـن مـــتـــــاع لـزوالِ

لامـنـى الـنـاس كـــــأنى

أطـلـب الـســـوء لحـــالـى

كـــم لمحـــت الـلـــوم مـنـــهـم

فـى حـــديـث أو ســـؤال

وهى قصيدة طويلة أبكى كلما تذكرتها.. استشعرت أنها تتحدث بلسان حالى، وأنها مست شغاف قلبى.

وبعد ذلك ذهبت لأداء العمرة لأخت لى من أبى، توفيت وكنت أحبها كثيرًا -رحـمها الله- وبعد أداء العمرة لم أنم تلك الليلة، واستشعرت بضيق فى صدرى رهيب، وكأن جبال الدنيا تجثم فوق أنفاسى.

وكأن خطايا البشر كلها تخنقنى.. كل مباهج الدنيا التى كنت أتمتع بها كأنها أوزار تكبلنى، وسألنى والدى عن سبب أرقى فقلت له: أريد أن أذهب إلى الحـرم الآن، ولم يكن الوقت المعتاد لذهابنا إلى الحـرم قد حـان ولكن والدى -وكان مجندًا نفسه لراحتى فى رحلة العمرة- صحبنى إلى الحرم.

وعندما وصلنا أديت تحية المسجد وهى الطواف، وفى أول شوط من الأشواط السبعة يسر الله لى الوصول إلى الحجر الأسود، ولم يحضر على لسانى غير دعاء واحد لى، ولزوجى، وأولادى، وأهلى، وكل من أعرف، دعوت الله بقوة الإيمان، ودموعى تنهمر فى صمت، ودون انقطاع، طوال الأشواط السبعة لم أدع إلا بقوة الإيمان، وطوال الأشواط السبعة أصل إلى الحجر الأسود وأقبله، وعند مقام إبراهيم عليه السلام، وقفت لأصلى ركعتين بعد الطواف.

وقرأت الفاتحة، كأنى لم أقرأها طوال حياتى، واستشعرت فيها معان اعتبرتها منة من الله، فشعرت بعظمة فاتحة الكتاب، وكنت أبكى وكيانى يتزلزل فى الطواف، استشعرت كأن ملائكة كثيرة حول الكعبة تنظر إلىَّ، استشعرت عظمة الله كما لم أستشعرها طوال حياتى.

ثم صليت ركعتين فى الحجر وحدث لى الشىء نفسه، كل ذلك كان قبل الفجر، وجاءنى والدى لأذهب إلى مكان النساء لصلاة الفجر عندها كنت قد تبدلت وأصبحت إنسانة أخرى تمامًا.

وسألنى بعض النساء: هل ستتحجبين يا أخت شمس؟.

فقلت: بإذن الله، حتى نبرات صوتى قد تغيرت، تبدلت تمامًا، هذا كل ما حدث لى، وعدت ومن بعدها لم أخلع حجابى، وأنا الآن فى السنة السادسة منذ ارتديته، وأدعو الله أن يُحسن خاتمتى وخاتمتنا جميعًا أنا وزوجى، وأهلى، وأمة المسلمين جمعاء.

حال شمس البارودى بعد التوبة:

تقول التائبة إلى الله شمس البارودى:

أنا أفضل العطاء لأولادى، ففى التمثيل من الممكن أن تحل محلى فنانة أخرى، ولكن فى دور الأم لا يمكن، بل من المستحيل أن تقوم به امرأة أخرى لأولادى.

الأمومة أعظم وأقوى من التمثيل، والمكان الرئيسى للمرأة هو بيتها ومع أولادها وزوجها(١).

سعادتى الزوجية ورعاية أولادى أولاً، وقبل كل شيء(٢).

وعندما تزوجت حسن يوسف اقتنعت بأن واجبى الأول هو أن أكون زوجة، وابتعدت تدريجيًّا عن التمثيل، حتى قررت الابتعاد نهائيًّا عنه، بعد أن أديت العمرة من سبع سنوات، وفى ذلك أحسست أن الفترة الماضية كلها كانت بالنسبة لى فترة غيبوبة كاملة، وأن عملى بالتمثيل حرام... حرام.

إعلان العودة إلى الله تعالى:

ونشرت إعلانًا نصه:

تعلن السيدة/ شمس البارودى أن الأفلام التى تعرض لها حاليًّا أو مستقبلاً كلها أفلام قديمة تم تصويرها منذ سنوات بعيدة، كما تعلن أنها اعتزلت الفن نهائيًا منذ شهر فبراير ١٩٨٢م بعد أدائها للعمرة.

وحسبى الله ونعم الوكيل.

عودة المذيعة كريمان إلى الله تعالى

تقول كريمان حمزة بعد أن لبست الحجاب، عام ١٩٧٢م:

أنا كنت كأى فتاة نشأت فى بيئة «مودرن» إلا أننى من -فضل الله تعالى- كنت أرى والدى دائما يصلى، فكنت أصلى منذ طفولتى، وفى سن ١٩سنة، وهى سن مبكرة كنت قد أنجبت طفلين، ومنذ هذه السن، وحتى أصبح عمرى ٢٦سنة كنت أستمع للقرآن الكريم بصورة دائمة من إذاعة القرآن الكريم.

---

(١) صحيفة الأخبار (مارس/ سنة ١٩٨١م).

(٢) مجلة حواء (إبريل/ سنة ١٩٨٢م).

ثم تقدمت للعمل فى التلفزيون لتقديم برامج دينية للمرأة والطفل، بالطبع كنت سافرة، بكل ما تحمله كلمة السفور من معنى.

وفى أحد الأيام وصلت إلىّ دعوة من كلية طب المنصورة لإلقاء محاضرة بالجامعة، وكان ذلك فى عام ١٩٧١، ووجدت فى نهاية الدعوة:

رجاء للمرأة بتغطية الرأس والبدن كله ما عدا الوجه والكفين.

الحقيقة تعجبت جدًّا من أن تتضمن الدعوة اشتراط ارتداء ملابس معينة، ولم أقتنع، لكن لرغبتى فى الاتصال بالطالبات ارتديت «بدلة» ووضعت «إيشاربًا».

وفى القطار كان اللقاء بالشيخ صلاح أبى إسماعيل، وكنت أتحدث معه وأنا أقدره، وقد قال لى عندما اقتربنا من المحطة:

يجب أن تذهبى لتهذيب مظهرك لأن هناك بعض الشعيرات قد خرجت من «الإيشارب» شعرتُ بالضيق من هذه الملاحظة، وقلت له: وما الذى سيحدث لو خرج الشعر كله من الإيشارب؟!.

وعندما وصلنا إلى هناك، كان من بين المحاضرات الأستاذة/ نعمت صدقى صاحبة كتاب «الحجاب»، وألقت كلمة عن الحجاب.

وجاء دورى فألقيت كلمة عن الإسلام والمرأة، ثم جاء دور الشيخ صلاح أبى إسماعيل، وراح يشرح الآيات القرآنية التى يقول فيها رب العزة: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾(١).

وقال: إن الخمار هو غطاء الرأس، وإن الجيب فتحة العنق، وإن اللام لام الأمر، وإن الأمر من رب العزة، وإن معنى هذه الآيات أن على المرأة أن تخفى شعرها تمامًا، ولا يظهر منها إلا الوجه والكفان.

---

(١) سورة النور: ٣١.

أيضا تخفى البـدن كله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾(١). بإطالة الثوب.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(٢).

وهنا أُسقط فى يدى، وشعرت أنـه لابد لى مادام أنه أمر الله ورسوله، وكنت قد عشت منذ التاسعة عشـرة من عمرى إلى السادسة والعشرين يوم أن تحـجبت وأنا أسـتمع إلى القـرآن الكريم، وأُحب الله حـبًا جـمًـا، وأتشوق وأتلهف إلى أى أمر يأمر به الله حتى ألتزم به.

ولكن لم أكن أفـهم آيات الحـجاب، ولكن عندمـا علمت مـعنى هذه الآيات، وجدت كل ذرة فى بدنى تستجـيب لأمر الله، وتحسست بيدى رأسى لأجد أن الإيشارب محكم، وقررت ألا أرفعه حتى ألقى الله.

وفى الطريق وأنا عائدة إلى القاهرة ونظرت إلى الطريق الزراعى، كانت الشمس تتـجه إلى الغـروب، وكان قرص الشـمس فى غاية الجـمال، يرسل أشعة ذهبية على أوراق الشجر، والزهور، والأرض الزراعية الشاسعة الممتدة، وكانت الألوان شديدة الجـمال، فقلت فى نفسى: إن الله سبـحانه وتعالى هو الذى خلق هذا الجمال، إن هذه اللوحات من صفـاء الجو، لنقاء لون السماء، لذهبية الشمس وتعدد ألوانهـا، وجمال الأشجار والورود، لا يمكن أن يكون الذى صنع هذا الجمال إلا جميل يحب الجمال فهل يا ترى إذا وضعت الخمار على رأسى، وأخفيت أجمل ما فىّ، وهو شعرى، هل سأكون قبيحة المنظر؟

هل سيقل مستواى الجمالى؟.

هل سأقل فى الأناقة وفى المظهر؟.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٩.
(٢) سورة الأحزاب: ٣٦.

هل سيكون الشكل قبيحًا؟ لا يمكن طالما أن الجميل هو الذى قرر هذه الآيات، لا شك أننى إذا ارتديت الحجاب فسأكون أكثر جمالاً، وأكثر أناقة، لأن الله -سبحانه وتعالى- جميل يحب الجمال، ولا يمكن أن يأمر بالقبح على الإطلاق.

وبدأت مشوار الحجاب الجميل، وكنت بفضل الله تعالى صاحبة الحجاب المشرق، المشجع لجميع النساء، محاولة أن أرتدى الملابس العديدة التى لم تلائم النمط الجمالى المواكب للتطور، وفى الوقت نفسه لا تنفصل عن منهج الشرع.

وعندما قررت الحجاب رفضت رفضًا باتًّا من المسئولين فى التلفزيون، وما زلت الشخصية المرفوضة بسبب الحجاب، ولكن منحنى الله تعالى، وتفضل علىَّ بأن وضع لى القبول لدى الجماهير.

وعند خروجى على الجماهير بالحجاب متحدثة عن الإسلام فى التلفزيون وضع الله -بفضله وكرمه- لى قبولاً ليس له نظير، وقد كانت تصلنى آلاف الخطابات والتلغرافات تشجيعًا.

بالنسبة للأسرة لم يكن هناك ترحيب من الزوج، ولا من الأهل، ثم قالوا لى فى النهاية: أنت حرة، ولكننا لن نرضى عن هذه الصورة، ولكن بعد ذلك هناك من تقبل، وهناك من اضطر للقبول، والمهم أن يتقبل الله سبحانه وتعالى.

بعض الرجال يظن أن زوجته إذا ما تحجبت فسيكون لها شكل مختلف، أو شكل غير متطور، أو ستصبح «وحشة» أو «مسترجلة» أو «خفير» كما يقولون، أوستهمل فى جمالها وأنوثتها.

لكن المفروض أن المرأة بقدر ما تتحجب عن الرجال فى الخارج، ولا تثير شهوة تنال الثواب من الله -سبحانه وتعالى- بقدر ما تتبرج لزوجها وتتزين وتتجمل له وتتحفه بقدر ما تنال الثواب.

لم يتعد ذلك شهوراً، وكنت أرتدى أشيك الملابس، وكان هذا منذ حوالى عشرين عامًا، ولم يتعد الأمر شهوراً قصيرة حتى كانت الأسرة والزوج على رأس المرحبين ترحيبًا كاملاً بالصورة التى ارتديت بها الحجاب لأنها الصورة المعتدلة.

لكنى أريد أن أؤكد على شىء، لكل محجبة مثلى لقد تفضل الله -سبحانه وتعالى- علينا وارتدينا الحجاب، وأن الحجاب قد انتشر وأننا قد أصبحنا الفئة الغالبة.

إننا بذلك قد وصلنا إلى شىء فلابد من قراءة القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، حتى يتم التحصين الداخلى، وبدون التحصين الداخلى لا ولن يكون لنا وجود أو فاعلية على الإطلاق.

كذلك يجب أن نكون المنتجات المتفوقات الملتزمات، لأن المظهر يشكل جزءًا فى الإسلام، وليس كل شىء[١].

عودة الممثلة نسرين إلى الله

قررت الممثلة نسرين الاعتزال، وارتداء الحجاب بعد أن رأت أمها رؤيا فى المنام، حيث رأت والد نسرين وهو غاضب على ابنته، فاستنتجت الأم أن سبب غضبه تقصير نسرين فى أداء الصلاة بانتظام مما جعل نسرين تراجع نفسها، وترجع إلى الله تعالى.

تقول نسرين التائبة:

الحمد لله، كان يومى يضيع دون إحساس بالسعادة، ودون أن أشعر بالسلام، والآن ليس لدى وقت كاف لأن هناك أموراً كثيرة نافعة يجب اللحاق بها، لقد وجدت السلام الداخلى.

---

(١) مجلة صباح الخير (ديسمبر سنة ١٩٨٩م).

الناس مليئة بالرياء والفسوق، ويظهرون الفجور، كيف نتعامل معهم؟

لقد كرم الله المرأة التى ترتدى الحجاب، وهو يحميها من القلوب المريضة والفسوق، وعلى الأقل إنها ليست نافذة عرض متحركة ليتفرج الناس عليها ويعجبوا بها[١].

عودة نورا إلى الله تعالى

جاءت إلى مكة المكرمة لأداء العمرة والاستغفار بعد اعتزالها التمثيل منذ عدة أشهر، كانت لا تفارق الحرم إلا لمامًا، ولا يبرح المصحف الشريف يدها، ولا تكف عن البكاء.

إنها الممثلة «نورا» سابقًا، وشاهيناز قدرى حاليًّا، وهو اسمها الحقيقى.

تقول التائبة نورا:

إنها لحظة كانت من أعظم لحظات حياتى، عدت فيها من غربتى وولدت فيها من جديد، حينما ذهبت مع صديقة لى لمقابلة عالم جليل، وكان من المقرر أن يمتد اللقاء لمدة ساعة، ولكنه امتد لمدة ساعات سمعت فيها -مع غيرى من المسلمين والمسلمات- ما لم أسمعه من قبل.

وارتعدت فرائصى واهتز كيانى وأنا أسمع كلمات الشيخ عن الإسلام، والمعصية والتوبة، والطريق الخطأ والطريق الصواب.

فعدت مع صديقتى إلى منزلى وأنا أرتعش، وأحسست بزلزال رهيب فى أنحاء جسمى، وفى اليوم الثانى -وعلى الفور- توجهت إلى مسجد من المساجد القاهرة حيث الداعية الكبيرة شمس البارودى وهناء ثروت، وجلست أقرأ القرآن، وأتفقه فى دين الله والسنة المطهرة، وداومت على ذلك بصفة مستمرة دون انقطاع.

---

(١) العائدون إلى الله (٤/ ١٨) لعبد العزيز المسند.

وفى لحظة روحانية قررت وحسمت أمـرى بأن أكون مسلمة مؤمنة تائبة إلى ربها، وأن أقطع كل صلتى بالتمثيل.

وتخلصت -والحـمـد لله- من كل ارتـباطـاتى الفنيـة مع المخـرجـين والمنتجين، وكل ما يتعلق بالفن بلا رجـعة، فمن يعرف طريق الله لن يجد له بديلاً.

وأنا الآن -والحـمد لله- أعيش مـن رزق حلال طيب، أسـأل الله -عز وجل- أن يبارك فيـه. وحول الشبهة التى يثيـرها البعض من أن توبة الفنانين نتيجـة تهديد من جهات ما، أجابـت: أنا عن نفسى رجعت إلى الله، وتبت وندمت خوفًا منه -سبحانه - واقتناعـًا بما أفعل، وليس خوفًا من تهديد أحد مطلقًا، ولا يخـفى علينا جميـعًا الحملة الشـعواء لهذه الأقلام المغـرضة التى تخشى الإسلام وقوته.

وسئُلت: من واقع تجربتك الفنية هل تعتقدين أن الفن حرام؟.

فأجابت: إن الفن -والله تعالى أعلم- بالنسـبة للنساء حرام، لأن المرأة عورة، وفن هذه الأيام فن مبتذل فيه إسَفاف، ولن يكون رسالة سامية مطلقًا، فهو بعيد كل البعد عن الإسلام[١].

عودة هالة فؤاد إلى الله

تقول التائبة هالة فؤاد:

أرى أننى ارتكبت معصيـة وخطأ كبيرًا فى حق ربى ودينى، وعلى هذا الأساس أتمنى أن يغفر الله لى ويسامحنى.

منذ صغرى وبداخلـى شعور قوى يدفعنى إلى تعليـم الدين، والتمسك بالقيم والأخلاق الحميدة، وبالتحديد عندما كنت فى المرحلة الإعدادية.

---

(١) العائدون إلى الله (٤/ ٢٠) للمسند.

كنت لا أحب حياة الأضواء، أو الظهور فى المجتمعات الفنية، وكانت سعادتى الكبرى أن أظل داخل منزلى، ولكن النفس الأمارة بالسوء والنظر إلى الآخرين، وتلك التبريرات الشيطانية كانت وراء اتجاهى لهذا الطريق.

وشاء الله تعالى أن يبتلينى بمصيبة أعادتنى إلى فطرتى، وتبين لى من خلالها الضلال من الهدى، فى لحظة كنت فيها قاب قوسين أو أدنى من الموت، وذلك أثناء عملية الولادة الأخيرة حيث سدت المشيمة عنق الرحم، وكان الأطباء يستخدمون معى الطلق الصناعى قبل الولادة بثلاثة أيام.

وحدث نزيف شديد هدد حياتى بخطر كبير، فأجريت لى عملية قيصرية، وبعد العملية ظللت أعانى من الآلام، وفى اليوم السابع الذى كان من المفروض أن أغادر فيه المستشفى، فوجئت بألم شديد فى رجلى اليمنى، وحدث ورم ضخم، وتغير لونها، وقال لى الأطباء: إننى أصبت بجلطة.

وأنا فى هذه الظروف، شعرت بإحساس داخلى يقول لى:

إن الله لن يرضى عنك ويشفيك إلا إذا اعتزلت التمثيل، لأنك فى داخلك مقتنعة أن هذا التمثيل حرام، ولكنك تزينينه لنفسك، والنفس أمارة بالسوء، ثم إنك فى النهاية متمسكة بشىء لن ينفعك.

. أزعجنى هذا الشعور، لأننى أحب التمثيل جداً، وكنت أظن أنى لا أستطيع الحياة بدونه، وفى نفس الوقت خفت أن أتخذ خطوة الاعتزال، ثم أتراجع عنها مرة أخرى، فيكون عذابى شديداً.

المهم عدت إلى بيتى وتماثلت للشفاء، والحمد لله، رجلى اليمنى بدأ يطرأ عليها تحسن كبير، ثم فجأة وبدون إنذار انتقلت الآلام إلى رجلى اليسرى وقد شعرت قبل ذلك بآلام فى ظهرى، ونصحنى الأطباء بعمل علاج طبيعى، لأن عضلاتى أصابها الارتخاء نتيجة لرقادى على السرير، وكانت دهشتى أن تنتقل الجلطة إلى القدم اليسرى بصورة أشد وأقوى من الجلطة الأولى.

كـتب لى الطبيب دواء وكـان قـويًا جدًا، وشـعرت بآلام شـديدة فى جسـمى، واستـخدم معـى أيضًا حقنًا أخـرى شديدة لعـلاج هذه الجلطة فى الشرايين، ولـم أشـعر بتحسن، وازدادت حـالتى سوءًا، وهنا شعرت بـهبوط حاد، وضـاعت أنفاسى، وشاهدت كل من حـولى فى صورة باهتة، وفـجأة سمعت من يقول لى قولى: «لا إله إلا الله».

لأنك تلفظين أنفاسك الأخيرة الآن، فقلت:

«أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله».

نطقت الشهـادة وفى هذه اللحظة تحدثت مع نفسى وقلت لهـا: سوف تنزلين القبـر، وترحلين إلى الله والدار الآخرة، فكيف تقـابلين الله وأنت لم تمتثلى لأوامـره، وقضيت حـياتك بالتبـرج، والوقوف فى مـواقف الفتنة من خلال العمل بالتمثيل؟.

ماذا ستقولين عند الحساب؟ هل ستقولين إن الشيطان قد هزمنى؟

نعم، لقد رأيت الموت فعلاً، ولكن للأسف، كلنا نتناسى لحظة الموت، ولو تذكر كل إنسان تلك اللحظة فسوف يعمل ليوم الحساب، يجب أن نتثقف دينيًا حتى لا نكون مـسلمين بالوراثة، ويجب أن نتـعمق فى دراسـة القرآن والسنة والفقـه، وللأسف فإننا نعـانى من «أمية دينيـة» ولابد من تكاتف كل الجهات لتثـقيف المجتمع دينيًا، ولن يتم ذلك من خلال تقديم برنامج واحد أو برنامجين.

وباختصار قمت بمحاكمـة سريعة لنفسى فى تلك اللحظات، ثم شعرت فجـأة بأننى أسـترد أنفـاسى، وبدأت أرى كل من يقف حولى بوضـوح تام، أصبح وجه زوجى شـديد الاحمرار، وبكى بشدة، وأصـبح والدى فى حالة يرثى لها، أما والدتى فقد قامت فى ركن من الحجرة تصلى وتدعو الله.

سألت الطبيب: ماذا حدث؟!.

قال: «احمدى ربنا، لقد كتب لك عمر جديد».

بدأت أفكر فى هذه الحادثة التى حدثت لى وأذهلت الأطباء بالإضافة إلى من حولى، فكرت فى الحياة كم هى قصيرة قصيرة، ولا تستحق منا كل هذا الاهتمام، فقررت أن أرتدى الحجاب، وأكون فى خدمة بيتى وأولادى، والتفرغ لتنشئتهم النشأة الصحيحة، وهذه أعظم الرسالات.

وهكذا عادت التائبة هالة إلى الله، وأعلنت قرارها الأخير بالاعتزال لمهنة التمثيل، تلك المهنة المهينة التى تجعل من المرأة دمية رخيصة يتلاعب بها أصحاب الشهوات، وعبيد الدنيا، إلا أن هذا القرار لم يرق لكثير من أولئك التجار -تجار الجنس- فاتهموها بالجنون، وأنها إنما تركت التمثيل بسبب المرض، وعجزها عن المواصلة، فترد على هؤلاء وتقول: إن هناك فى عالم الفن من هم أكثر منى نجومية وشهرة!! وقد تعرضوا لتجارب أقسى كثيراً مما تعرضت له، ولكنهم لم يتخذوا نفس القرار.

والغريب أن الوسط الفنى قد انقسم أمام قرارى هذا إلى قسمين:

فالبعض قدم لى التهنئة، والبعض الآخر اتهمونى بالجنون، فإذا كان الامتثال لأوامر الله جنونا، فلا أملك إلا أن أدعو لهم جميعًا بالجنون الذى أنا فيه.

وفى معرض حديثها عن حالها قبل التوبة، وموقفها من زميلاتها اللاتى سبقنها إلى التوبة والالتزام، تقول: لقد كنت أشعر بمودة لكل الزميلات اللاتى اتخذن مثل هذا القرار، كهناء ثروت، وميرفت الجندى، وكنت أدعو الله أن يشرح صدرى لما يحب، وأن يغلقه عما لا يحب، وقد استجاب الله دعائى، وشرح صدرى لما يحب.

وفى ختام حديثها تقول:

هالة فؤاد الممثلة توفيت إلى غير رجعة، وهالة فؤاد الموجودة حاليًّا لا علاقة لها بالإنسانة التى رحلت عن دنيانا(١).

عودة شادية إلى الله تعالى

يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى:

دهشت وأنا أرى المطربة التى أطربت الناس، جاءت لتستمع إلى صوت لارتم فيه، ولا موسيقى، وكنت أحدثها فتهتز، وتعيش فى سمو روحى، وتطلب منى ألا أكف عن الكلام.

لقد وجدت الطريق وطلبت منى أن أعينها لتسير فيه فأعنتها.

أما هى فتقول عن توبتها: إننى لا أستطيع -يعنى الحديث عن تجربتها- وكنت أتمنى ذلك، ربما تجعلنى الأيام فى يوم ما أتحدث عن تجربتى، إنما أنا أرى أننى لم أفعل شيئًا يستدعى أن أقوله للناس.

كل ما فعلته هو أننى صححت مسار حياتى، لقد أعطيت الكثير جدًّا للناس، ولكننى لم أعط لله شيئًا، فأريد أن أعوض ما لم أعطه لله، أتمنى أن يتاح لى الوقت لأعوض ما فاتنى.

كل همى أن يقبل الله توبتى النصوح، وأن أتجه إلى الله وحده ولا أريد من الناس شيئًا، أريد أن أنسى كل ما كان يربطنى بحياة الماضى، وأتمنى بصدقٍ لو أنها اختفت من حياتى للأبد.

ومن علامات صدق توبتها مسارعتها إلى الأعمال الخيرية التى سئلت عنها، فقالت: لماذا تريدون معرفة ذلك؟ إننى أقدمه إلى الله سبحانه وتعالى، وليس لكم، إننى أستهدف وجه الله تعالى، لا وجه الدعاية!!.

---

(١) مجلة «كل الناس» (العدد رقم ٨٠).
مجلة «الكواكب» (العدد رقم ٢٠٥٦).

وعن أمنيتها تقول: أتمنى أن أقضى بقـية عمرى بجوار بيت الله الحرام، والمسـجد النبـوى الشريف فى الأراضى المقـدسة، وأقـوم بأداء مناسك الحج والعمرة كل عامٍ.

وأتمنى امتناع التلفزيون عن إذاعة أفلامى السينمائية وأغنياتى، وأتمنى لو أن مثل تلك الأعمال أعدمت أو اختفت من الوجود نهائيًّا[١].

عودة سهير عابدين إلى الله

عُرفت باسمـها الفنى «هالة الصافى»، وأما اسمهـا الحقيقى فهو سـهير عابدين، تحكى عن قصة توبتها فتقول:

بدأت الرقص وأنا فى السادسة عشرة من عـمرى، وهى سن صغيرة لا يدرك معها الإنسان الحرام والحلال.

وعلى العموم فقـد كانت علاقتى بالخالق سبحـانه وتعالى قوية فى كل الظروف، وكانت النية صـادقة، وأعمال الخير كثـيرة فى حياتى، وفى الآونة الأخيرة كـرهت عملى بدرجة كبـيرة، وأصبحت أبكى بشـدة قبل كل حفل، وكأننى مقدمة على خطأ كبير، وحدث تغيير شامل طرأ على حياتى جعل من الرقص الذى مارستـه طوال حياتى كابوسًا مـفزعًا، وعبئًا ثقـيلاً على نفسى، فقد ضللت هدفى فى الحياة، فليس هذا طريقى.

ومنذ سنوات شاهدت رؤيا كانت السبب وراء حـزمها المفاجئ فى اتخاذ القرار الذى طال ترددها فيه.

فقد رأيت شيخًا جليلاً فى الرؤيا يدعوها للصلاة بجواره، ويعطيها رداء لتستر جسدها، فاسـتيقظت وأنا أبكى بشدة، وندمت على سنوات العمر التى ضاعت هباءً، وقـررت منذ هذه اللحظة اعتزال الرقص نهائـيًّا، وذهبت لتأدية

(١) مجلة «المسلمون» العدد رقم (١٧٥).

فريضة الحج، وعدت مرتدية الحجاب، منتظمة فى أداء الصلوات، وقراءة القرآن الذى لا يفارقها أبدًا.

وأرفض الآن كل شىء يتعلق بالماضى، فلقد كنت عمياء لا أعرف طريقى، والآن أبصرت الطريق، وكنت أتمنى أن يصدر قرارى من سنوات لأُكفر عن ذنوبى، ولكنها إرادة الله[١].

عودة مها صبرى إلى الله

يشاء الله تعالى أن تتصل بها الشاعرة الإسلامية «علية الجعار» لتقول لها: إن هاتف جاء لها، وقال لها: اذهبى إلى مها، وادعيها إلى الحج هذا العام، وكانت وقتها قد خرجت من المستشفى على إثر عملية جراحية، وعلاج طويل استغرق ستة أشهر متواصلة.

وكانت صحتها متعبة جدًا فشعرت بعدم القدرة على القيام بهذه الرحلة، فى مثل هذه الظروف الشاقة، ولكن يشاء الله فى اليوم التالى أن يقول لها ابنها مصطفى:

هذا العام ستحجين معى يا أمى!

وفى نفس هذا اليوم وجدت صديقة لها تقول متسائلة: لماذا لا تحجين يا مها؟!!.

وتعجبت مها صبرى جدًا، لقد تكررت دعوتها إلى الحج فى هذين اليومين ثلاث مرات، وأخذت تفكر فى الموضوع بجدية، برغم من إحساسها بضعف الحالة الصحية العامة.

طلبت التائبة مها صبرى من ابنها مصطفى أن يحجز لها للسفر إلى

(١) مجلة «الشباب وعلوم المستقبل» (عدد نوفمبر ١٩٨٩).

الحج، مع علمها بأن باب الحجز قد أغلق، ولكنها فوجئت به يحضر لها تأشيرة الحج.

وفى خلال يومين تم الإعداد لكل شىء، وتم السفر عن طريق الطائرة، وأحست بعودة الصحة إليها مرة واحدة، فقامت بتأدية مناسك الحج بإقبال شديد.

وعادت التائبة مها صبرى من رحلة الحج، فإذا بهم يقولون لها: حرام عليك أن تكشفى شعرك، فلبست الحجاب.

وعاشت التائبة مها صبرى أيام قليلة حتى كانت وفاتها أواخر عام ١٩٨٩م على توبة وعودة صادقة إلى الله تعالى[١]

عودة هناء ثروت إلى الله

تقول التائبة هناء ثروت:

لقد اتخذت قراراً باعتزال مهنة التمثيل عن اقتناع كامل وتام، اتخذت قرارى باعتزال التمثيل مرضاة لله سبحانه وتعالى.

الحمد لله لأننى لم أجد معارضة من زوجى محمد العربى أو من أهلى، وبعدها قرر زوجى محمد العربى هو الآخر اعتزال فن التمثيل نهائيًّا، وقد حاول بعض المنتجين أن يقنعنى بأن أقوم بتمثيل الأدوار الدينية على الأقل، مع الالتزام فيها بالحجاب، ولكنى اعتذرت برفق.

وأعتقد أن تمثيل المرأة حتى فى الأعمال الدينية غير مناسب بالنسبة للمرأة أنا الآن سعيدة جدًّا بحياتى، والحمد لله على كل شىء، الآن أقوم بواجبى على ما يرام تجاه الله سبحانه وتعالى، وتجاه زوجى، وتجاه ابنتى «إيمان» تسع سنوات، وابنى: «غفران» أربع سنوات.

---

(١) مجلة «الشباب» (عدد نوفمبر ١٩٨٩م).

. وبالطبع فهـذا العمر بالنسبة لكـليهما يحتـاج إلى كل الرعاية والحنان، يحتـاج إلى تفرغ الأم الكامل، وأنا مـؤمنة تمامًا بأننى إذا تمكـنت -بعون الله تعالى- من تنشئـتهما تنشئة صـالحة، فإننى أكون قد أرضيت ربـى وضميرى بإذن الله.

نعم لاسمىّ «إيمان» و«غفران» دلالة معينة عندى، فأنا والحمد لله تعالى شديدة الإيمان منذ صـغرى، وقبل أن أرزق ابنتى الأولى، كنت مصـممة أن أطلق عليها اسم «إيمان»، لو جاءت بـنتًا، والحمد لله الذى أعطانى «إيمان»، كما من الله سبحانه وتعالى علىَّ من قبل بالإيمان.

أما «غفران» فـقد أنجبته وأنا أتخذ قرارى باعتـزال التمثيل نهائيًّا وكنت أثناء ذلك الوقت أطلب من الله الغفران، وأرجوه سـبحانه وتعالى أن يمنحنى من علاه إياه، كما منحنى بفضله «غفران» ابنى.

وسـألت هناء ثروت وزوجهـا محـمد العـربى الشيخ مـحمـد متـولى الشعراوى عن مهنة التمثيل، وهل يستمران فيها أم لا؟!.

قال الشيخ الـشعراوى: المرأة لابد وأن تقتدى -أول كل شىء- بـتعاليم الإسلام، وترتدى الحـجاب، وهو الزى الصالح لـلمرأة المسلمة، كـما يجب عليها أن تحترس من المحظورات التى نهى الإسلام عنها.

ولقد كـان لتلك الكلمات البـسيطة أبلغ الرد، وأعظم التـأثير فى نفس الزوجة وزوجها، فقال الزوج محمد العربى التائب من التمثيل.

نحن -والحمد لله تعالى- نتمتع بحياة أسرية هادئة ومستقرة جدًّا، حتى من قبل أن نتخذ قرارنا باعتزال التمثيل نهائيًّا.

كنا بعيدين عن الاختـلاط بالوسط الفنى، وليس لنا علاقات بأفراد هذا الوسط، وكل ما نقوم به هو زيارات عائليـة لأقرب الأصدقاء المقربين والأهل فقط.

وتقول التائبة هناء ثروت:

سلوكيات الإنسان تبدأ معه منذ الصغر، وقد نشأنا -أنا وزوجى- فى عائلة محافظة، لها تقاليدها وقيمها، ولذلك لم تسرقنا حياة الأضواء والشهرة، ولذلك كان من السهل علينا أن نعرف الطريق السليم إلى الله -سبحانه وتعالى- وهذا هو الطريق الطبيعى لكل مسلم، والذى لا مفر منه.

والإسلام هو الحل لما نعانيه من مشاكل وخلافات، وقلق، وصدق الله العلى القدير إذ يقول فى كتابه الكريم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

والحمد لله... نحن بالفعل غيرنا أنفسنا، وتنازلنا بسعادة عن النجومية، والشهرة، والثراء، واخترنا الهدوء، والسكينة، وراحة البال، وتربية الأبناء، وهذا خير لنا وأبقى.

وعندما يكون زوجى -محمد العربى- فى البيت يذاكر باستمرار لإيمان -الابنة- دروسها، وهو بالإضافة إلى ذلك يهوى إصلاح أعطال الكهرباء، والسباكة، والنجارة، والدهان، وإعداد بعض الوجبات السريعة، وبعض أنواع الحلوى مثل «الكنافة» التى يحبها جداً.

وأنا أمارس حياتى بشكل عادى جداً، ومعظم قراءتى فى الإسلاميات، والحمد لله تعالى لقد ختمت القرآن الكريم تلاوة، وفى طريقى إلى حفظ كل أجزاء القرآن الكريم.

إن المرأة فى الإسلام تنال بحمد الله حريتها كاملة، ولكن فى حدود الالتزام والأخلاق، وكانت المرأة فى الصدر الأول للإسلام تأخذ مكانها اللائق، وكان لها دور لا ينسى فى تاريخ الإسلام المجيد.

---

(١) سورة الرعد: ١١.

ولا أستطيع أن أتدخل فى منع عرض هذه الأعمال الفنية لأنها ليست ملكى، نعم كل ما أخجل منه هو تلك الفترة التى لم ألتزم فيها بالزى الإسلامى الشرعى.

ولقد وفقنى المولى إلى أداء فريضة الحج، كما أديت العمرة أكثر من مرة، والتزمت بفتوى الشيخ الشعراوى خاصة وقد اقتنعت بها تمامًا، وذلك حتى لا نقع فى معصية خالق الكون جل وعلا.

فلا أريد أنا وزوجى أن نشعر بشبهة الحرام فى أموالنا، وزوجى يتفانى فى إسعادنا جميعًا، يحاول أن يعطى ابنه وابنته الكثير من وقته وجهده، ويمنحهما الحنان والعطف(١).

عودة كاميليا العربى إلى الله

تقول التائبة كاميليا العربى المذيعة المهتدية:

بدأت رحلتى إلى اليقين منذ خمس سنوات، وبالتحديد مع بداية تفكيرى فى ارتداء الحجاب، عندما قرأت القرآن، وأيقنت أن الحجاب فرض، لأنى لم أكن أعرف قبل ذلك أنه فرض، لدرجة أننى كنت أحاول فى هذه المسألة، وأشكك فى ضرورة ارتداء المرأة للحجاب.

فالمسألة كانت أولاً وأخيراً جهل بالدين وتعاليمه، وبعد أن أيقنت بضرورة ارتدائى للحجاب بدأ الصراع مع النفس:

هل أترك العمل فى التلفزيون وأرتدى الحجاب؟.

أم أواصل عملى الذى أعشقه؟.

وللأسف تغلب الشيطان، وعملت لمدة ثلاث سنوات بعد معرفتى بضرورة ارتداء الحجاب، ولكن خلال سنوات عملى لم أمتنع عن قراءة القرآن

(١) مجلة «المسلمون» رقم (١٧٥).

وتفسيره، بل زادت رغبتى فى القراءة، وبدأت أقبل على شراء الكتب الدينية، لأنى أيقنت أننى مصابة بقدر كبير من الجهل الدينى، فغالبية المسلمين يعرفون أمور دنياهم جيدًا، ولا يعرفون أمور دينهم.

وواصلت القراءة والاطلاع حتى جاءت الليلة الموعودة التى بشرت فيها بقدوم شهر رمضان، وكان ذلك عام ١٩٨٩م، وبعد معرفتى بقدوم الشهر المبارك جلست أفكر ماذا أفعل هل أتحدث فى التليفون لأهنئ أقاربى أم أصعد عند الجيران؟ ولكنى قررت قراءة القرآن الكريم من هذه الليلة حتى نهاية الشهر مرتين، وبالفعل جلست أقرأ فى كتاب الله، وأبكى بكاءً شديدًا، حتى قرأت سورة النور، وأنها سورة كما يقول سبحانه وتعالى:

﴿أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾[١].

أى أن كل ما فيها فرض، كذلك وأنا أقرأ فى آيات الله، وجدت آية يقسم فيها الشيطان بعزة الله فيقول ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٢].

فقلت: الشيطان يعلم عزة الله ونحن لا نعلم، وبكيت كثيرًا حتى أكملت السورة فوجدت قول الله ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٣].

وقلت: لماذا لا أكون من هؤلاء العباد؟!

وتحديت الشيطان، وتحديت نفسى، وقررت الحجاب والهداية التى بدأت بالحجاب، ثم النقاب، ثم الغطاء الكامل فى الملبس.

ونسأل التائبة كاميليا العربى:

هل كان للتنشئة الدينية فى الصغر دور فى ارتدائك الحجاب؟.

فتجيب: بالتأكيد للتنشئة الدينية دور كبير فى إرساء قواعد ومبادئ دينية لدى الإنسان.

---

(١) سورة النور: ١.

(٢) سورة ص: ٨٢.

(٣) سورة ص: ٨٣.

فكان والدى مثلاً يضربنا لكى نصوم ونصلى، ويعلمنا مبادئ ديننا، فكان يقول لنا: عيب عليكن ارتداء الملابس القصيرة!. عيب عليكن الرد بصوت عالٍ فى التليفون!.

وهكذا، ولكن لم يقل لنا «حرام» أى اختلاف اللفظ كان له التأثير، وبالتالى عندما وجدت أوامر الله ونواهيه أمامى فى القرآن تنهى عن أشياء كنت لا أفعلها منذ الصغر لأنها فى اعتقادى «عيب».

وكان سهل علىَّ تنفيذ أوامره -عز وجل- فالصلاة والصوم والعبادة كانت بداخلى، ولكن كانت فى حاجة إلى شىء ما يحركها.

فأنا قبل ارتدائى للحجاب كنت أقرأ قبل ذهابى إلى التليفزيون جزءاً من القرآن، وأسبح طوال طريقى من المنزل إلى التلفزيون، فكانت الهداية بداخلى، ولكنى لم أعرف كيف أبلورها وأقوّم نفسى على الطريق المستقيم.

وتسأل التائبة كاميليا العربى: ما هو الشىء الذى حول وجدانك للهداية؟

فتجيب قائلة: الحج هو الذى حرك مشاعرى، وأحاسيسى تجاه الله، فشعرت وكأنى كنت أسير على يدى، ثم استقمت، وأصبحت أسير على قدمى.

فالحج برهبته وروعته كان نقطة التحول الحقيقى فى حياتى على الرغم من أن ظروف سفرى كانت مفاجئة فكان من المفروض أن يسافر والدى ولكنه لم يستطع.

فسافرت بدلاً عنه، ولكنه كان أجمل وأروع سفر فى حياتى، فكان الحج أجلّ دعوة من الله لى.

وتسأل: هل كان لاعتزال شقيقك محمد العربى وزوجته هناء ثروت دور فى ارتدائك الحجاب؟.

فتجيب التائبة كاميليا العربى قائلة:

كلنا ذهبنا إلى الحج فى عام واحد، عدنا جميعًا، وبداخلنا قرار بطاعة الله، ولكنهما قررا الاعتزال، أما أنا فلم أجد فى عمل المذيعة ضرر أو حرمة، فكان الحج بداية لنا جميعًا.

وتسأل التائبة كاميليا العربى:

فى رأيك هل يليق العمل الإعلامى بالمرأة المسلمة؟.

وتجيب: لا يليق العمل الإعلامى بالمرأة المسلمة إلا إذا توافرت فيه شروط عمل المرأة المسلمة، والدليل على ذلك أننى رفعت قضية على التليفزيون للعمل فيه بالحجاب، والظهور بدون «مكياج» فالمرأة إذا التزمت بتكاليف وأوامر الله سيكون خير وبركة.

وتسأل: والفرق بين المذيعة كاميليا، وكاميليا العربى الآن؟.

فتجيب قائلة: ليس هناك فرق، فالحمد لله كاميليا الإنسانة هى المسيطرة على الموقف، بتوفيق من الله، ولكنى كما أقول دائمًا:

إن كاميليا العربى نالت حب كثير من الأطفال، وكنت مرتبطة بهم، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يضعنى فى نفس المجال، وهو رعاية الأيتام.

بل فى مجال أفضل من سابقه، فمن ترك شيئًا ما فى الحرام أبدله الله خيرًا منه فى الحلال.

وتسأل التائبة كاميليا العربى:

برامج التلفزيون وأثرها على الطفل، هل تساهم برامج الأطفال الحالية فى التنشئة الدينية للأطفال؟.

وتجيب قائلة: لا، فأنا أعتقد أننا لو أردنا أن ننشئ الطفل تنشئة سليمة لابد من الدخول إليه عن طريق المفهوم الصحيح للدين حتى نحميه من

الوقوع فريسة الانحراف، فنقطة الضعف الموجودة فينا أننا نظهر الدين، إما صعب جدًا لا يستطيع الطفل فهمه، أو ببساطة مخلة بتعاليمه التى يجب أن يلم الطفل بها.

وبالتالى لابد أن أقدم للطفل برامج تجذبه إليها لتعطى له المعلومة الصحيحة، فنعلمه: «لا إله إلا الله» قولاً، وفعلاً، وعملاً، فلا يكفى أن أوصل إليه المعلومة، ولكن كيف أقدم له هذه المعلومة.

وتسأل التائبة كاميليا العربى:

كيف تصرفتى فى دخلك من العمل الاعلامى؟.

وتجيب قائلة: عندما يقبل الله التوبة يطهر كل شىء، ويعلم الله أنى بعد اللالتزام بعام واحد كنت أفكر فى دخلى من التلفزيون، وكيف أتصرف فيه؟.

وهل هو حلال أم حرام؟.

وجاءت الإجابة سريعة من الله -سبحانه وتعالى- فطهرنى أنا وزوجى من كل الأموال التى حصلنا عليها من العمل الإعلامى، حيث شب حريق فى شقتنا فالتهم كل ما نملك.

وتسأل التائبة كاميليا العربى:

ترأسين داراً للأيتام، فلماذا فضلتِ العمل فى هذا المجال؟!.

وتجيب قائلة: بدأت فكرة العمل فى هذا المجال بعد حريق منزلى، فقد اقترح علىَّ البعض أن أعمل مديرة لإحدى الجمعيات، ولكن واجهتنى بعض السلبيات فى عملى لأنى كنت أريد العمل على أكمل وجه، وبما يرضى الله، فقررت إنشاء جمعية خاصة بى.

وبالفعل استطعت بتوفيق وفضل من الله وحده جمع تبرعات ذاتية، وصلت إلى مليون جنيه على الرغم من أننى وقت كتابة العقد لم يكن معى

أى نقود، ولكن وفقنا الله، لأننا نسعى فى الخير، وأنشأت دار «أحباب الله» وهى دار للأيتام، وأحلم بإنشاء جيل مسلم فاضل من هؤلاء الأطفال.

وأحلم بإنشاء مزارع ومصانع لهم حتى ينتجوا ويصنعوا بأنفسهم ما يحتاجه المجتمع، ويلغى النظرة السيئة إليهم، فيتحول الطفل من عضو فاشل يضر المجتمع إلى عضو ناجح، يفيد المجتمع، وإنى واثقة فى الله بأنه سيساعدنى فى تحقيق ما أتمناه.

وتسأل: ما هى أهداف جمعية «أحباب الله»؟

دار الأيتام هى نشاط من أنشطة الجمعية، ولكن الهدف الأساسى للجمعية هو مساعدة الأسر الفقيرة، وأن تكون هناك مساواة بين الطبقات إلى جانب افتتاح دار حضانة نموذجية، وإنشاء مستشفى للعلاج بالإضافة إلى الخدمات المتكاملة التى أحرص على تقديمها للأطفال، وهى الإقامة الكاملة للأطفال.

كذلك لكل طفل دفتر توفير أحاول المساواة بينهم جميعًا فى المبالغ المالية التى تقدم لكل طفل، وسبحان الله كل طفل يأتى الدار يسبقه رزقه.

وتُسأل التائبة كاميليا العربى:

ما رأيك فى إشاعة اعتزال الفنانات بعد دفع مبالغ مالية لهن؟.

وتجيب قائلة:

هذا الكلام خاطئ، والرد جاء من الله عليهم من خلال الحالات الخاصة ببعض الفنانات اللاتى تحجبن، ثم عدن إلى الفن، وخلعن الحجاب!.

معنى ذلك أنهن بعد الحجاب لم يجدن من يدفع لهن، فعدن إلى ما كنّ عليه.

وعلى أية حـال فـالمال دائما يدفـع للعرى، وليس لـلغطاء، والفنانات التائبات آثرن ما هو أعظم من النقود، وهو رضا الله.

وأنا عن نفسى أخذت وعد بجنات عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين، والله لا يخلف وعده، ولم أجد أكثر من هذا العطاء.

ووالله لو يعلم مروجـو هذه الإشاعات مـا نحن فيه من نعـيم لبارزونا عليه بالسيـوف. . وأدعو الله أن يذوق كل الناس هذه النعمة العظيمـة، نعمة الهداية والرجوع إلى الله وأن يشعروا برضا الله عليهم، وراحة النفس.

والرضا بنـعمة الله أهم شىء فـمن الناس من لا يجدون الطـعام ولكن ضميرهم فى غاية الراحة[١].

عودة نعمة صدقى إلى الله

تقول التائبة إلى الله الأستاذة نعمة صدقى:

لقد من الله تعالى على بالشفـاء من هذا الوباء الذى كان قد تسرب إلىَّ من البيـئة، والغفلة، فـداوانى منه ربى -سبحـانه- بمرض أليم فى بدنى أعاد الصحة والعافية إلى روحى وقلبى.

مرضـت مرضًا شـديدًا بعد خـلع ضرس، قـاسيت منه آلامًـا مبـرحة حرمتنى طعم النوم، والأكل شهـرًا كاملاً، إذ لم يكن طعن الألم يكف لحظة ليلاً أو نهارًا.

وزاد الورم حتى كـاد خدى ينفـجر، وامتـد إلى عنقى ورأسى، وأغلق جفن عينى، فـحار فى أمرى الجراحون والأطباء، وعـجز الطب وعز الدواء، وقطع الأمل بتاتًا من الشفاء.

وإذا بالله يمحو على مهل الجرح، ويصرف الورم!!.

---

(١) مجلة «الأسرة» (العدد ١٢-محرم ١٤١٥هـ-يونيو ١٩٩٤م).

فوقف الأطباء مدهوشين من هذه المفاجأة المذهلة، وقالوا خاشعين: حقًّا، إن الله القدير الرحيم، يحيى العظام وهى رميم. فعاينت تفاهة الخلق، وعجز من ادعى العلم والسلطان، وأدركت أن الخالق سبحانه أبر وأرحم بعبده من كل إنسانٍ.

قالت لى إحدى النساء:

إنك لا تستحقين كل هذا العذاب، أنت السيدة المؤمنة، المصلية، الحاجة لبيت الله الحرام!!.

فماذا اقترفت من الآثام، حتى يعاقبك الله بهذه الآلام؟!

فصرخت قائل:

لا تقولى ذلك، فإن الله لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

إنى آثمة أستحق هذا العقاب وزيادة.

فإن هذا الفم الذى أدبه الله بالمرض والألم، كان يصبغ بالأحمر، وكان لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر.

وهذا الوجه الوارم كان يتجمل بالمساحيق، وهذا الجسم الطريح كان يتبرج بالثوب الأنيق، وهذا الرأس المتألم المتأجج بنار الحمى كان لا يتحجب بالخمار، وقد تحجب الآن قهراً باللفائف الطبية تحيط به كالخمار تمامًا.

لم أختمر بخمار الاحتشام فخمرنى الله بخمار الآلام.

جملتُ وجهى بالأصباغ والأدهان، فأبدلهما الله بالعذاب والهوان.

أجابتنى السيدة قائلة:

إنك لم تفعلى إلا ما يفعله غيرك، بل وأقل مما يفعله غيرك!!.

فكل النساء يتبرجن ويتجملن أكثر منك!!

وها هن أولاء يرتعن فى بحبوحة الصحة، ويرفلن فى حلل السعادة!

فقلت: هذا فضل ربى علىَّ، وحبه لى، ورحمته بى، فإن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه، وطهره بعذابه، ورباه، ثم إذا أراد ساق له العافية ونجاه، ففاز بجزاء الصبر، وحظى بفضيلة الشكر، وسعد بالتوبة والطهر.

فشكرًا لله على هذا الدرس النافع، وهذا الألم الشافى الناجح، وهذا العقاب المؤدب الرادع، وهذا المرض المهذب اللاذع.

إن الله سبحانه يأمرنى بعمله، عندما رآنى لم أأتمر بقوله، فكيف لا أشكره على هذه العناية؟!.

وكيف لا أطيع من يرعانى هذه الرعاية؟!

وهكذا شفيت من مرضى ضعيفة الجسم، قوية الإرادة، ضعيفة الهوى، قوية الصبر والجلادة.

وفهمت ما قاله الله لى بهذا المرض.

فهمت كيف يجب أن يحاط رأسى ووجهى بالخمار، كما مثله لى الله، وأن يدعو فمى ولسانى إليه شكرًا، وخوفًا ، وطمعًا.

فكنت بعد مرضى غير ما كنت قبله، وكان أعظم نعمة علىَّ جعلتنى أقهر هوى نفسى، وصيرت يومى أغنى، وأقنى من أمسى.

ولم تقتصر النعمة علىَّ وحدى، بل عمت بيتى، وانتشرت من حولى، وأنقذت بناتى، وكثيرًا من معارفى وأهلى.

والحمد لله علىَّ أنى تبت إلى الله من قريب، ولم أصر على ما فعلت وأنا أعلم، واحتشمت قبل فوات الوقت، لا كما تفعل كل النساء اللائى يحتشمن، ويختمرن فى وقت لا جناح عليهن فيه أن يضعن ثيابهن، فلا يكون تركهن المعصية إلا عن عجز، لا عن توبة صادقة.

ومنذ ذلك اليوم عـزمت على أن أحارب الفسق، وأن أجاهد فى سـبيل الله بلساني وقلبى، وكرست لذلك كل ما أستطيع من قوتى، ووقتى وفهمى.

ونظرتُ حولى، ويا لهول ما رأيت!!

رأيت السواد الأعظم من الناس مـستغرقًـا فى نوم عميق، مهـما ابتلاه ربه، لا يفهم ما أراده بذلك، فلا يرعوى ولا يفيق.

كأنهم غير مسـئولين عن ذنوبهم، أو كأنه ما يهلكهم إلا الدهر، وليس لله يد فيما حل بهم.

فلو كانوا يفهمون حكمة الله فى الابتلاء لانتفعوا بنعمته!

ولو كانوا يشعرون بحبه وخشيته لما استهانوا بنعمته!.

ولو كانوا يؤمنون به لما اجترأوا على عدوانه!.

فاحذرى أيتها العاقلة الغـافلة عن آثامك، وكلما ابتلاك ربك فنقبى عما أغضبه، واستوجب عقابه.

واجتهدى أن تتحلى بالفضائل ، وأن تتجردى من الرذائل[١].

أين أنتِ من العودة إلى الحجاب؟

أختاه...

التبرج عيب من العيوب، فما دواء هذا العيب؟

ليس له دواء إلا ارتداء الحجاب، والبعد عن إبداء الزينة للأجانب.

وقـد حـذرك الرسـول ﷺ من هذا العـيب، فـقـال -عليـه الصـلاة والسلام-: «**خير نسائكم: الولود الودود، المواسية، المواتية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم: المتبرجات، والمتخيلات، وهن المنافقات**»[٢].

---

(١) التبرج (ص/ ١٢) للفاضلة نعمة صدقى.

(٢) حديثٌ حسن. أخرجـه البيهقى (٧/ ٨٢) فى سننه الكبرى، وابن عـبد البر، وأبو موسى المدينى كما فى أسد الغابة (٦/ ٩).

فهـذا الحديث النبوى الشـريف يوحى من هذه الصفات القـبيحـة حتى يصف من يقعن فيها بأنهن المنافقات.

فمن هن شر النساء؟

«المتبـرجات» وهن المظهرات زينتهن للأجـانب، وأما «المتخيـلات» فهن المعجبات المتكبرات، والخيلاء: العجب والتكبر.

«وهن المنافـقـات» أى اللواتى يظهرن خـلاف مـا يكتـمن فى قلوبهن، وتلك صفة النفاق حقًّا لقد انتشر هذا العيب فى الـنساء، ولو علمت المتبرجة قدر ما تسـبب للعباد من الفتن والمعاصى، لأدركت أن حـسابها بين يدى الله عسير، وأنها قد خسرت خسرانًا مبينًا.

سيقول بعض النسوة: المهم الجوهر، والحجاب أمر ظاهرى.

ولمثل تلك النسوة يقال: أى جوهر ذلك الذى تملكه المتبرجة، وهى تثير شهوات العباد؟!

وأى جوهر تملك المتبرجة، وقد خالفت أمر خالق الأرض والسمٰوات؟!

وأى جوهر ذلك الذى تملكه المتـبرجة، وهى لا تحب أمر الله كـما تحب هواها؟!.

الجوهر الصـادق ينضح على الظاهر، وصلاح النية لا يجزئ فـى قبول العمل إلا مع صوابه.

فلو امتـلأ قلب المتبـرجة بخـشية الله تعـالى لخافت من غـضبـه عندما خالفت أمره.

ولو امتلأ قلب المتبرجة بحب الله تعالى لسارعت إلى تنفيذ أمره.

ولو امتلأ قلب المتبرجة بالخضـوع والانقياد للإسلام لقامت من فورها، ولبست الحجاب مرضاة لربها.

ولو امتلأ قلب المتبرجة بالتأسى بالرسول ﷺ، وأحبت أمره لسارعت إلى ارتداء الحجاب.

ولو امتلأ قلب المتبرجة بحب الصالحات لاقتدت بهن، وارتدت الحجاب.

وقلب قد خلا من خشية الله تعالى، ومحبته، والخضوع للإسلام، والتأسى بالرسول ﷺ، وحب الصالحات.

هل يُقال لهذا القلب لك جوهر؟!.

وأى جوهر هذا؟!

ولكن هى حيلة إبليس اللعين، ومكيدة الشيطان الرجيم، التى انطلت على كل امرأة متبرجة، فلا انفصال بين صلاح الجوهر والظاهر، وكل إناء ينضح بما فيه.

وتقول بعض النسوة:

إنها أزياء تعودنا عليها طوال سنوات أعمارنا، فكيف نتركها بعد ذلك؟!

وأين مشاعر الولاء لما يحبه الله ويرضاه.

إن المسلمة التقية تقول بكل إيمان لديها، وبكل ما فى جنبات قلبها من إسلام:

هواى فى رضا مولاى، وسعادتى فى إحساسى وشعورى برضا الله عنى، لأنى اتبعت هدى الله.

إنى أرفض بإيمانى، وأصر بإسلامى أن تصير عاداتى السيئة متحكمة فى أحوالى، ومسيطرة على أعمالى.

إن الله تعالى يقول:

﴿ ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾(١).

أيتها المحبة للتوبة، وإلى الله العودة، قولى لهم إن كانوا رجالاً، أو لهن ن كن نساءً ، إنى أحب الله ورسوله ﷺ ، وحبى لله ورسوله -عليه الصلاة والسلام- يتطلب منى إرضاءهما حتى لو غضبتم منى جميعًا.

أو ليس الله تعالى يقول: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٢).

وأنت أيتها المحبة للحجاب، سيقولون لك:

إنك لا زلت صغيرة، إنك فى ريعان الشباب، ولم يحن بعد وقت الحجاب!!. قولى لهم جميعًا:

سئل زين العابدين -رحمه الله-: ما بالك لا تلهو مع اللاهين، وتلعب مع اللاعبين؟!

فأجاب: إنى رأيت أمى إذا أوقدت الكانون -الفرن المنزلى- بدأت بصغار الحطب قبل كبارها، وإنى أخشى أن يبدأ الله تعالى بعذاب الصغار فى النار قبل الكبار.

وإن دقات قلبى قائلة لى: إن الحياة دقائق وثوانى، فعلىّ أن أجتهد فى الطاعة من الآن قبل الندم والخسران.

قد آن لك يا بنيتى أن تستيقظى من غفلتك قبل هجوم الموت بمرارته، فكأنى بالعمر منك قد انقرض، وهجم عليك المرض، وفاتك كل مراد وغرض.

شخص البصر، وسكت الصوت، ولم يكن من الممكن تدارك الفوت، ونزل بك ملك الموت، وقامت الروح، وقيل لك: ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾(٣).

---

(١) سورة القصص: ٥٠.
(٢) سورة الأحزاب: ٧١.
(٣) سورة ق: ٢٢.

بنيتى...

سيقول لك البعض: هلا انتظرت حتى تتزوجى؟، فلعل الحجاب يؤخر الخُطَّاب؟!.

ولمثل هذا نقول: ومتى كانت معصية الله جالبة للسعادة؟.

وهل يفكر فى التقدم للمتبرجة إلا من لم يبال بالدين؟.

إذ أن صاحب الدين والخلق لا يرغب أبدًا فى المتبرجة، بل رغبته فى صاحبة الحجاب.

وما قيمة الزواج الذى لا يبدأ بطاعة الله، بل يبدأ بمعصيته!

وألسنا نقول: إن الزواج قسمة ونصيب، فأين ذلك الآن؟!

ألسنا بالحجاب قد أطعنا الله، وهل هناك ما هو أعظم من طاعة الله؟!.

أليس من الإيمان: الرضا عن الله تعالى، فإن تزوجت المسلمة فهى راضية عن ربها، ومؤمنة بقضائه وقدره، وإن كانت الأخرى فهى راضية عن ربها، ومؤمنة بقضائه، وقدره، وهذا معنى الإسلام، الاستسلام لأمر الله تعالى وقد تخرج بعض النسوة قائلة لمن تبن إلى الله وارتدين الحجاب:

تلك رجعية، وأين التحضر والمدنية؟

ولهؤلاء النساء نقول: ما معنى الرجعية؟

إنها تعنى فى حقيقتها التمسك بالقديم، الذى اتضح مخالفته للحديث النافع، وإذا رجعنا إلى العهد الأول لوجدنا أن التبرج والسفور هو الذى ساد على عهد القدماء، من أيام الفراعنة، وحتى أيام العرب مشركى مكة.

ولذا نهى الله تعالى عن ذلك التبرج بقوله -جل شأنه-:

﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾[1]

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

قال التابعى مجاهد -رحمه الله-:

كانت المرأة تخرج تمشى بين يدى الرجال، فذلك تبرج الجاهلية.

وقال قتادة -رحمه الله-:

إذا خرجتن من بيوتكن لا تبرجن تبرج الجاهلية، وكانت لهن مشية، وتكسر، وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك.

وقال ابن حيان: التبرج أن المرأة تلقى الخمار على رأسها، ولا تشده، فيوارى قلائدها، وقرطها، وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج.

إذن فكون المرأة المسلمة غير محجبة يعنى أنها رجعية.

وأما المحجبة فهى المتدينة، والمتحضرة.

ثم تعالوا بنا نتساءل مرة أخرى فنقول:

ما معنى الحضارة؟ وما المراد بالمدنية؟.

أليست الحضارة هى الانتفاع بالعلم، وما الذى يمنعنى من ذلك مع حجابى؟!

هل منع الحجاب الطالبة أن تدرس؟.

لا والله، بل زادها حرصًا على الإقبال على واجباتها، وعدم الانشغال بغير ذلك.

وهل منع الحجاب الطبيبة أن تشخص الداء، وتصف الدواء؟.

لا والله، بل زادها هيبة ووقاراً.

فهل عرفتم من الرجعية، ومن المتحضرة؟!

وصدق الله تعالى حيث يقول فى كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال: ٢٤.

وقال -جل شأنه-:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[١].

أيتها المسلمة.. المحبة للتوبة، والحريصة على التوبة..

هلا قلت لكل من صدك عن الحجاب: دعونى أعجل بالحجاب ليرضى عنى ربى؟

لقد خرجت من بطن أمى وحدى!.

وسأدخل قبرى وحدى.

وسأقف بين يدى ربى وحدى.

ربى إنى تائبة إليك.

ربى إنى نادمة على كل يوم عصيتك فيه بالتبرج.

ربى أدعوك من فؤادى، تب علىَّ قبل مماتى.

ربى أهتف من أعماقى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[٢].

واحذرى أختى المسلمة عن حجاب الزينة، وما أدراك ما حجاب الزينة؟ بعض النساء فى زمـاننا لا يعرفن الحـجاب الشرعى، الذى أمـر به الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ، وأصبح الحجاب جزءًا من أجزاء الزينة، فهذه تجعل فى حجابها شـريطًا ملونًا!!، وكأنها تريد أن تشد إليها أنظار السـائرين معها فى الطريق وتلك التى تترك بعض الخصلات من شعرها تظهره من حجابها.

وكأنها تنبئ عن حسن شعرها وجماله، وأن تخفى بالخمار شيئًا!!.

---

(١) سورة النساء: ٢٦ - ٢٨.

(٢) سورة طه: ٨٤.

وتلك التى ترتدى إيشاربًا يزيدها فـتنة فى أعين الناظرين، ثم تزعم أن هذا هو الحجاب!!، فمن شروط الحجاب الشرعى:

١- ألا يكون زينة فى نفسه.

٢- أن يكون سميكًا لا يشف ما تحته.

٣- أن يكون فضفاضًا غير ضيق.

٤- ألا يكون مطيبًا أو مبخرًا.

٥- ألا يشبه لباس الرجال أو أزيائهم.

٦- ألا يشبه لباس الكافرات.

٧- ألا يكون لباس شهرة وخيلاء.

وبتلك الشروط يستـوفى حجابك الضوابط الشرعيـة، ونكمل المسير مع «توبة النساء» ومن الله تعالى العون والسداد.

أسرعى بالعودة إلى الله

الكثيرات من النسـاء لا يعدن إلى الله تعالى بتوبة نصـوح إلا بعد مرور عمر طويل، مع أنه لا تملك امرأة منهن لنفسها شيئًا.

فإذا جاء أحد إلى امرأة لا تصلى، أو تتبـرج فى ثيابها، أو تهجر كتاب ربها، أو تعق والديها، ودعاها إلى التوبة من أفعالها قائلاً لها:

عودى قبل الحسرة والندامة.

فتتعلل بأنها ما زالت صغيرة، والعمر فيه بقية!!.

سبحان الله، وهل اطلعت الغيب؟!.

وهل علمت كم بقى من عمرها، وقدر طول حياتها؟!.

إنها أمانى غرور، وأوهام المغرورة بالعودة إلى التوبة متى شاءت!.

أختاه...

التوبة مبسوطة ما لم تغرغرى، ولكن؟!.

أليس الموت يأتى بغتة؟!.

أليس المرض المقعد يأتى فجأة؟!

فهل تنتظرين، وتعودين إلى الله وأنت امرأة عجوز، أم تعودين وأنت شابة؟!

تأملى حال توبة المرأة العجوز، وتوبة الشابة الفتية.

الأولى: توبتها كتوبة المرء عند حضور الموت، والثانية: التوبة فى حال الصحة والعافية. فالتوبة عند حضور الموت تشبه الصدقة بالمال عند الموت، فكأن من لا تتوب إلا فى مرضها، فقد استفرغت صحتها، وقوتها فى شهوات نفسها، ولذة دنياها، فلما أيست من الدنيا، والحياة فيها تابت حينئذ، وتركت ما كانت عليه.

والتوبة فى الصحة، ورجاء الحياة تشبه الصدقة بالمال فى الصحة، ورجاء البقاء.

فأين توبة هذه من توبة من تابت إلى الله تعالى فى عز شبابها، وقدرتها على المعاصى، ولكن خوفها من الله، ومن سوء الخاتمة، ورجاء ثوابه منعها من هذا؟!

اسمعى أختى المسلمة إلى التضجر، والتحسر الذى كانت عليه بعض المحتضرات، اللواتى فارقن الدنيا غير تائبات.

إحداهن تلطم وجهها -وهذا نهى عنه الإسلام لأنه من أعمال الجاهلية- وتقول: يا حسرتى على ما قصرت فى حق الله!.

والثانية تبكى، وتقول: سخرت بى الدنيا، حتى ذهبت أيامى.

والثالثة تقول، والأنفاس تتقطع لخروج الروح من البدن قائلة:

ويحكن أخواتى، لا تغتروا بشبابكن، ولا تغرنكن الدنيا كما غرتنى.

ورابعة تنادى عند موتها: رب ارجعنى لعلى أعمل صالحًا فيما تركت.

وخامسة تبكى والأسى يكاد يخلع قلبها من بين جنبيها:

يا ليتنى قدمت عملاً صالحًا فى حياتى.

فعلى التائبات أن يرجعن إلى الله تعالى بالطاعة، وإخلاص العمل له، من قبل أن يأتى العذاب فى الدنيا فيعمهن، ولا يستطعن حماية أنفسهن من عذابه.

فإنهن عند ذلك يتحسرن، ويتندمن، فعند ذلك يتألمن أشد الألم، وتقول الواحدة منهن: يا ندامتى على ما قصرتُ فى طاعة الله تعالى، فقد كنت من المستهزئات، أو تقول تلك المرأة: لو أن الله تعالى وفقنى إلى دينه، وكنت من المتقيات، وتستمر الحسرات المعبرة عن الأسى والندامة فى يوم القيامة، فتقول حين ترى عذاب الله عيانًا.

لو أن لى عودة إلى الدنيا، فأكون من المطيعات لله تعالى!.

قال -عز وجل-: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١].

---

(١) سورة الزمر: ٥٣ - ٥٨.

فرحمة الله واسعة، ومهما أساء العباد، ثم تابوا وعادوا إلى الله تعالى فتح الله لهم أبواب الرحمة والمغفرة.

فالله -عز وجل- يدعو الناس إلى عدم اليأس بسبب ذنوبهم، وإن كانت كثيرة، وعظيمة، فالله تعالى يغفر الذنوب جميعًا، قديمها وحديثها، صغيرها وكبيرها، ودقها وجلها.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما:

إن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا القتل، وزنوا فأكثروا، فأتوا النبى ﷺ فقالوا: إن الذى تقول، وتدعو إليه لحسن، لو تُخبرنا أن لما عملنا كفارة؟.

فنزل قوله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

ولكن العودة قبل الندم والحسرة، والأسى والندامة.

النساء ودعوة السلف الصالح للعودة

أختاه...

السلف الصالح هم أصحاب النبى ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، والخير كل الخير فى متابعتهم، وقد دعوا إلى التوبة النصوح.

فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

الذنوب أربعة: ذنبان مغفوران، وذنبان لا يغفران، رجل عمل ذنبًا خطأً، فالله يمن ولا يعذبه عليه، وقد قال فيما أنزل: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب: ٥.

ورجل عمل ذنبًا قد علم ما فيه، فتاب إلى الله منه، وندم على ما فعل، وقد جزى الله أهل هذا الذنب أفضل الجزاء، فقال فى كتابه:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾(١).

وذنبان لا يغفران لأهلهما: رجل قد عمل ذنبًا، قد علم ما فيه، فأصر عليه، ولم يتب إلى الله منه، ولن يتوب الله على عبد حتى يتوب، ولن يغفر الله لمذنب حتى يستغفر، ورجل زين له سوء عمله فرآه حسنًا، وإن هذه التى يهلك فيها عامة من يهلك من هذه الأمة.

وقد يظهر على وجهك أثر الذنوب التى تقعين فيها، ولذا كان خطاب العابد -رحمه الله- يقول:

إن العبد ليذنب فيما بينه وبين الله، فيجىء إلى إخوانه، فيعرفون ذلك في وجهه.

والتوبة أختاه بالعمل، وليست بالكلام، ولذا فاحذرى من الإصرار على الآثام، وأصلحى ما بقى فى عمرك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

كل ذنبٍ أصر عليه العبد كبير، وليس بكبير ما تاب منه العبد.

وقال حفص بن ميسرة -رحمه الله تعالى-: أصلح ما بقى من عمرك، يغفر لك ما قد مضى منه، ولا تفسد فيما بقى فتؤخذ فيما قد مضى.

واحذرى الثقة بالأعمال، فأنت لا تدرين أتقبل منك أم لا.

قال ابن عون -رحمه الله-:

لا تثقن بكثرة العمل، فإنك لا تدرى يقبل منك أم لا؟.

ولا تأمن من ذنوبك، فإنك لا تدرى هل كفرت عنك أم لا؟.

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٥.

إن عملك عنك مـغيب كله، ما تدرى مـا الله صانع فيـه، أيجعله فى سجين، أم يجعله فى عليين.

واحذرى -أختـاه- من تصـغيـر الذنوب، فإنه بقـدر ما يصغـر الذنب عندك، كذا يعظم عند الله تعالى، وبقدر ما يعظم عندك، كذا يصغر عند الله تعالى واعلمى أن من ذكر خطيئة عملها، فوجل قلبه منها، واستغفر الله، لم يحسبها شيئًا حتى يمحوها.

فاهتـمامك بالذنب يدعوك إلى تركـه، وندمك عليه مفتـاح توبته، ولا تزال المرأة مهتمة بالذنب تصيبه حتى يكون أنفع لها من بعض حسناتها.

قال كعب الأحبار -رحمه الله-:

إن العبد ليذنب الذنب الصـغير فيحتقره، ولا يندم عليـه، ولا يستغفر منه، فيعظم عند الله تعالى حتى يكون كالجبل، ويعمل الذنب العظيم، فيندم عليه، ويستغفر منه، فيصغر عند الله تعالى حتى يغفر الله له.

ويحثـك السلف الصالح على المواظبـة على التوبة، والـرجوع إلى الله سبحانه وتعالى مهما تكررت منك الذنوب، فيقول على بن أبى طالب ﷺ: خياركم كل مفتن تواب!.

قيل: فإن عاد؟.

قال: يستغفر الله ويتوب.

قيل: فإن عاد؟!.

قال: يستغفر الله ويتوب.

قيل: حتى متى؟!.

قال: حتى يكون الشيطان هو المحسور.

أختاه..

لن تطيقى غضب الله عليك فهلا أسرعت إلى التوبة النصوح؟!.

قال عبد الله بن حبيب -رحمه الله-:

إنكم لن تطيقوا غضب الله تعالى عليكم كلما عصيتموه، فأمسوا تائبين، وأصبحوا كذلك تائبين.

عودى إلى الله وابتعدى عن الموبقات

يجدر بكل مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر، أن تحرص على التوبة من تلك المعاصى قبل الممات.

١- عقوق الوالدين، وقطع الأرحام.

٢- تأخير الصلاة عن وقتها.

٣- الغيبة والنميمة، والكذب، والبغى، والنفاق، والرياء، والحقد، والحسد، والبخل، ونقض العهد، وإخلاف الوعد، واللداد والخصومة، والغش والخيانة.

٤- السب، والتلاعن، والظلم، والتكبر، والتبرج والسفور.

٥- التنابز بالألقاب، والسخرية، والدعاء بدعوى الجاهلية، والاستهزاء بالمسلمات، وسؤال الزوج الطلاق من غير بأس، وخيانة الأمانة، وشهادة الزور.

٦- السعى وراء مدعى الغيب: كالمنجمين، وضرب الودع، والرمل، وقراءة الفنجان، وقراءة الكف، والكشف عن الحظ فى الأبراج، وورق اللعب المسمى بـ«الكوتشينة».

٧- الحلف بغير الله.

٨- بدعة عيد الميلاد ورأس السنة.

٩- الندب والنواح والعويل.

١٠- السفر بغير محرم.

١١- مصافحة الرجال الأجانب.

١٢- الاختلاط بالرجال.

١٣- الخروج بدون إذن الزوج.

١٤- تغيير خلق الله من وشم، ووصل، ونمص، وتفلج.

١٥- عدم الرضا بالقضاء ، والحمية لغير دين الله، والغضب بالباطل.

١٦- الخروج إلى الطرقات متعطرة.

علامات العودة المقبولة عند الله

للتوبة المقبولة الكثير من العلامات الدالة على القبول، وكذلك لرد التوبة عدة علامات، أما علامات قبول التوبة فهى:

١- أن يكون بعد التوبة -أى العبد- خيراً مما كان قبلها، فلابد للعبد أن ينظر إلى نفسه بعد التوبة هل زاد فى الحسنات؟ أم أنه كما هو يسير فى طريق السيئات، فإن كانت الأولى فبها ونعمت ، وإن كانت الأخرى فليعلم ذلك المسكين أن الله -عز وجل- قد رد عليه التوبة.

٢- أنه لا يزال الخوف مصاحبًا له، لا يأمن مكر الله طرفة عين.

٣- انخلاع قلبه خوفًا وندمًا، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها.

فمن لم ينقطع قلبه فى الدنيا على ما فرط فى جنب الله حسرة وندمًا، تقطع فى الآخرة إذا حقت الحقائق، وعاين ثواب المطيعين، وعقاب العاصين، فلابد من تقطع القلب إما فى الدنيا، وإما فى الآخرة.

٤- ذل وخضوع خاص لا يكون لغير المذنب يجتمع عليه وعلى العبد أن ينتفع بذلك، بأن يطرق أبواب الطاعة، ويسأل ربه قائلاً:

أسألك بعزك إلا رحمتنى، أسألك بقوتك، وبغناك عنى، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذلّ لك قلبه.

قال الشاعر:

يا من ألوذ به فيما أؤمله

ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره

ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

هذا -أختاه- عن علامات التوبة المقبولة عند الله -عز وجل- وبقى لنا أن نتعرف سويًّا على علامات التوبة المردودة.

أولها: ضعف العزيمة، والتفات القلب إلى الذنب، وتذكر حلاوة مواقعته.

ثانيها: طمأنينته ووثوقه من نفسه بأنه قد تاب، حتى كأنه قد أعطى منشورًا بالأمان، فهذا من علامات اتهام تلك التوبة.

ثالثها: جمود العين، واستمرار الغفلة، وقسوة القلب، وما أبعد ذلك القلب من الله تعالى، فإن أبعد القلوب من الله -عز وجل- هو ذلك القلب القاسى، الذى لا يخشى الموت وسكراته، ولا يتعظ بالقبر وأهواله، ولا بذكر النار وما فيها.

٤- ألا يستحدث بعد التوبة أعمالاً صالحة، لم تكن له قبل الوقوع فى الذنوب والآثام[١]

(١) مدارج السالكين (١/٢٠٦) لابن القيم.

ثمار العودة إلى الله تعالى

عندما تتوب المرأة المسلمة إلى الله -تعالى- توبة صادقة، فإنها تستفيد الكثير من الفوائد الدنيوية والأخروية.

أولاً: التائبة إلى الله -تعالى- قد جربت العيوب، وعرفت مداخل الشيطان، فتكون أهدى إلى الاحتراز من الشر.

ثانيًا: المرأة المذنبة التائبة محتشمة، قد غلب الخوف على قلبها، فتأتى باب مولاها وهى خزيانة منكسرة، فعادت امرأة خائفة.

ثالثًا: المرأة المسلمة التائبة قد حلبت الدهر خيره وشره، حلوه ومره، فهى أرفق بالمذنبات فلا تعجب بنفسها، ولا تزرى بغيرها.

رابعًا: عبودية التوبة من أحب العبوديات إلى الله تعالى، فالتائبة إلى الله تعالى من أحب الناس إليه، فإنه سبحانه وتعالى يحب التائبين والتائبات، ولو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه، لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه، ولمحبته لتوبة عبده، ابتلاه بالذنب الذى يوجب وقوع محبوبه من التوبة، وزيادة محبته لعبده.

خامسًا: أن للتوبة عنده سبحانه وتعالى منزلة ليست لغيرها من الطاعات، ولهذا يفرح سبحانه وتعالى بتوبة أمته حين تتوب إليه، أعظم فرح يقدر، كما مثله النبى ﷺ بفرح الواجد لراحلته التى عليها طعامه وشرابه فى الأرض المهلكة، بعدما فقدها، وأيس من أسباب الحياة، ولم يجئ هذا الفرح فى شىء من الطاعات سوى التوبة، ومعلوم أن لهذا الفرح تأثيرًا عظيمًا فى حال التائبة وقلبها، ومزيده لا يعبر عنه.

وهذا من أسرار الله فى تقدير الذنوب على العباد، والمرأة المسلمة تنال بالتوبة النصوح درجة المحبوبية.

سادسًا: أن عبودية التوبة بالنسبة للمرأة المسلمة فيها من الذل والانكسار والخضوع، والتذلل لله سبحانه وتعالى، ما هو أحب إلى الله تعالى من كثير من الأعمال الظاهرة.

سابعًا: هو أن التائبة قد بدلت كل سيئة بندمها عليها حسنة، إذ هو توبة تلك السيئة، والندم توبة، والتوبة من كل ذنب حسنة، فصار لها مكان كل سيئة حسنة بهذا الاعتبار.

ثامنًا: تستفيد المرأة التائبة إلى الله بتوبتها للطاعات، والذنوب تورثها الحرمان من السيئات.

تاسعًا: التائبة إلى الله تعالى تشعر بالراحة والطمأنينة، وتشعر أن سرورها ونعيمها فى الرضا عن ربها -سبحانه وتعالى- والرضا باب الله الأعظم، ومستراح العارفين، وجنة الدنيا.

عاشرًا: التوبة إلى الله تعالى تفتح للمرأة المسلمة باب السلامة، فتجعل قلبها نقيًا من الحقد والحسد، والغش ، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله يوم القيامة بقلب سليم، وكلما كانت المرأة أكثر توبة كان قلبها أسلم.

الحادى عشر: أن من ملأت قلبها من التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى ملأ الله صدرها غنى وأمنًا، وقناعة، وفرّغ قلبها لمحبته، والتوكل عليه، فالتوبة تفرغ قلبها لطاعة الله، والمعصية تفرغ قلبها لسخط الله.

الثانى عشر: أن التوبة الصادقة توجب للمرأة المسلمة الطمأنينة، والمعصية توجب لها الاضطراب.

الثالث عشر: التوبة تعلم المرأة المسلمة الاستسلام لله تعالى، وعدم الأعتراض عليه فى جريان أحكامه، فله حكمة باهرة، وعظة بليغة.

الرابع عشر: التوبة الصادقة ترشد المرأة المسلمة إلى الرضا بالله ربًا، فلا تتخذ ربًا غير الله تعالى، تنزل به حوائجها، وتقصده فى سرائها وضرائها.

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1].

قال ابن عباس ﭬ: سيداً وإلهًا، يعنى: فكيف أطلب ربًّا غيره، وهو رب كل شيء. وكثيـر من المسلمات يرضين بالله ربًا، ولا يبغين ربًّا سواه، لكنهن لا ينزلن به حوائجهن!

الخامس عشر: أن التوبة النصوح تعلم المرأة المسلمـة أن تكون محبة الله تعالى سـابقة إلى قلبهـا من كل محبـة أخرى، فتـتقدم مـحبتـه -عز وجل- المحاب كلها.

وتقهر محبته كل محبة، وتكون محبة غيره تابعة لمحبته سبحانه وتعالى، فيكون هو المحبوب لأسمائه وصفاته، وآلائه، وغيره محبوبًا تبعًا لمحبته.

احذرى عقبات فى طريق العودة إلى الله

تقول المرأة: أريد أن أتوب . . ولكن!

وهنا تبدو العقبـات فى الظهور، وعلى المسلمة أن تجتهد فى البـعد عما يحول بينها وبين الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

فالشيطان الرجيم يسوّل للمرأة تأخير التوبة بدعوى صغر سنها!.

إنك لازلت صغيرة!.

إنك فى ريعان شبابك!

إنك فى فترة الأحلام والأمانى!

وهل نسيت أن الموت يأتى بغتة؟.

تفكرى فى مجيئه إليك وأنت غير تائبة، فكيف يكون حالك؟!

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٧.

ستبكين وتندمين، وتتمنين لو كنت إلى الدنيا تعودين لترضى رب العالمين.

قال أبو هزار التميمى: قالت لى أم الدرداء ﵂: أبا هزار، ألا أحدثك ما يقول الميت على سريره؟

قال: قلت: بلى.

قالت: فإنه ينادى: يا أهلاه، ويا جيراناه، ويا حملة سريراه، لا تغرنكم الدنيا كما غرتنى، ولا تلعبن بكم كما لعبت بى، فإن أهلى لم يحملوا عنى من وزرى شيئًا(١).

اسمعى إلى ابن الجوزى، وهو ينصح الغافلين فيقول:

أيها المتيقظون وهم نائمون، أتبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، كونوا كيف شئتم فستنقلون: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾(٢).

يا مقيمين.. سترحلون، يا مستقرين.. ما تتركون يا غافلين.. عن الرحيل ستظعنون، أراكم متوطنين تأمنون الموت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

طول نهاركم تلعبون، وطول ليلكم ترقدون، والفرائض ما تؤدون، وقد رضيتم عن الغالى بالدون، لا تفعلوا ما تفعلون. ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾. أما الأموال فتجمعون، والحق فيها ما تخرجون، وأما الصلاة فتضيعون، وإذا صليتم تنقرون، أترى إلى هذا كم يكون. ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

أين العتاة المتجبرون؟!.

أين الفراعنة المتسلطون؟!

---

(١) أخرجه أحمد (ص/٢٠٦-٢٠٧) فى الزهد.

(٢) سورة المؤمنون: ١٥.

أين أهل الخيلاء المتكبرون؟!

قدروا أنكم صرتم كما صاروا أما تسمعون!

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

تقلبوا من اللذات فى فنون، وأخرجهم البطر إلى الجنون، فأتاهم ما هم عنه غافلون. ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[1].

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

ولو حصل لكم كل ما تحبون، ونما جميع ما تؤتون، ونلتم من الأمانى ما تشتهون ، أينفعكم حين ترحلون.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

إلى متى؟ وحتى متى تنصحون؟!، وأنتم تكسبون الخطايا، وتجترحون، أأمنتم وأنتم تسرحون!.

لا تفرحوا بما تفرحون، فإنه أميركم حين تطرحون، وإياكم من يراكم، من يراكم تمرحون، قد خسرتم إلى الآن فما تربحون.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

أختاه..

كأنك بالموت وقد فجأك وهجم، وألحقك بمن سبقك، ونقلت إلى بيت الوحدة والظلمة، وندمت على التفريط غاية الندم.

فيا عجبا لعين تنام وطالبها لم ينم؟!

متى تحذرين؟ وإلى متى حسناتك فى نقصان، وسيئاتك فى زيادة؟!

إلى متى أنت بين الكسل والخمول ترددين؟!.

---

(١) سورة الدخان: ٢٥.

إلى متى أنت تنسين يومًا فيه الجلود تنطق وتشهد؟!.

العمر يمر مر السحاب، ما مر منه لا يعود، وما تبقى للذهاب، والشيطان يخدع المرأة العاصية خداع السراب، والذاهبة ليس لها إياب، والموعودة يوم الحساب.

تجهزى، فقد حد الحادى بالركاب، وتهيئى للسكنى تحت التراب.

قد آن أن تستعدى لمصرعك تحت التراب، وتفكرى فى الاستعداد ليوم الحساب.

فالشيطان يخدعك بالتسويف، والقلوب تصدأ، وتحتاج إلى جلاء الصدأ عنها، ولا يكون ذلك إلا بالمسارعة إلى التوبة النصوح.

أحكام العودة إلى الله تعالى

تسأل المرأة المسلمة فتقول:

هل يجوز تأخير التوبة؟!

والإجابة: إن المبادرة إلى التوبة من الذنوب والعيوب فرض على الفور، ولا يجوز لامرأة مسلمة تأخير التوبة، فمتى أخرت التوبة وقعت فى معصية جديدة هى تأخير التوبة.

فإذا تابت المرأة المسلمة من الخطيئة بقيت عليها توبة أخرى، وهى توبتها من تأخير التوبة.

وتسأل إحدى المسلمات قائلة:

هل يجوز أن تتوب المسلمة توبة عامة للذنوب كلها؟.

نعم يجوز للمرأة المسلمة أن تتوب توبة عامة، فإنه لا يخلصها من الذنوب إلا التوبة العامة، مما تعلم من ذنوبها ومما لا تعلم، فإن ما لا تعلمه المرأة من ذنوبها أكثر مما تعلمه.

وتقول واحدة من النساء:

هل تصح التوبة من ذنب دون آخر؟..

اختلف أهل العلم على قولين فى هذه المسألة، ولكن رجح الإمام ابن القيم -رحمه الله- أن التوبة لا تصح من ذنب، مع الإصرار على آخر من نوعه.

وأما التوبة من الذنب مع مباشرة آخر لا تعلق له به، ولا هو من نوعه فتصح توبته.

كما إذا تاب من الربا، ولم يتب من شرب الخمر مثلاً، فإن توبته من الربا صحيحة، وأما إذا تاب من تناول الحشيشة وأصر على الخمر أو العكس، فهذا لا تصح توبته، وهو كمن يتوب عن الزنا بامرأة، وهو مصر على الزنا بغيرها غير تائب منها.

فهذا فى الحقيقة لم يتب من الذنب.

وتتساءل بعض النسوة:

هل يشترط فى صحة التوبة أن لا تعود إلى الذنب أبدًا؟..

نقول: شرط بعض أهل العلم عدم معاودة الذنب، وقالوا: متى عاد إلى الذنب بعد التوبة منه تبينا أن التوبة كانت باطلة غير صحيحة.

وجمهور العلماء على أن ذلك ليس بشرط، وإنما صحة التوبة تتوقف على الإقلاع عن الذنب، والندم عليه، والعزم الجازم على ترك معاودته، فإذا عاوده مع عزمه حال التوبة على أن لا يعاوده صار كمن ابتداء المعصية، ولم تبطل توبته المتقدمة.

وتسأل امرأة فتقول:

هل يجوز للمرأة المسلمة أن تقول إنما يمنعنى من التوبة أنى أعلم من نفسى أنى أعود إلى هذا الذنب، ولا أستمر على التوبة؟.

نجيب تلك السائلة فنقول: إن هذا من غرور الشيطان، لأن المرأة المسلمة لا تدرى متى يفجؤها الموت، فلعلها تموت تائبة قبل أن تعود إلى الذنب.

وأما الرجعة إلى الذنب، فعلى المرأة المسلمة العزم الصادق، وإتمام الإقامة على التوبة، فإن ثبتت على التوبة، وسلمت من الرجوع إلى الذنب، فذلك بتوفيق الله تعالى وفضله.

فإن رجعت إلى الذنب فقد تابت من ذنوبها السالفة وتخلصت منها، وتطهرت من أقذارها، وليس عليها إلا الذنب الذى أحدثته، وهذا ربح عظيم، وفائدة كبيرة، فلا ينبغى للمرأة المسلمة أن يمنعها من التوبة خوف الرجوع إلى الذنب.

فإن المرأة المسلمة التائبة لا تخلو من فائدة أبدًا، ومن قبل الله توبتها فقد أحبها، لأن الله -عز وجل- يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

ومن أحبها الله تعالى فهى فى غاية القرب منه، فعلى المرأة المسلمة أن تجتهد، وتستيقظ من رقدة الغفلة، عسى أن تسلم من الإصرار على الذنب، وتتخلص من الأوزار، ولا تأمن من قسوة القلب.

فعلى المرأة المسلمة أن تبادر إلى التوبة عند كل ذنب صغير كان أو كبير، فإن الأجل محتوم، والدنيا غرور، والموت يأتى فجأة.

ولنا أسوة حسنة بأبينا آدم -عليه الصلاة والسلام- خلقه الله تعالى بيده، وأسكنه جنته فى جواره، ولم يذنب إلا ذنبًا واحدًا، فكيف حالنا فى ذنوبٍ لا تحصى؟!

فمن تابت ورجعت إلى الذنب، فإنها ترجع إلى التوبة أيضا، فلعلها أن

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٢.

تموت قبل أن ترجع إلى الذنب، ويكون هذا حالها متى أحدثت ذنبًا فلتحدث لها توبة، ولا تكون فى التوبة أعجز منها فى الذنب، ولا تيأس من رحمة الله تعالى.

بل ترجو توفيقه -سبحانه وتعالى- وتؤمل فى عونه ومدده، فهو على كل شىء قدير.

وتسأل إحدى النسوة قائلة:

كيف يكون حال المرأة المسلمة بعد التوبة؟

الإجابة هى: أنه ينبغى للمرأة المسلمة التائبة أن تكون بعد التوبة أشد انكسارًا، وخشية، فإنه إذا أعجبت بتوبتها أبطلها العجب، وبقيت عليها ذنوبها.

قال بعض السلف: إن الرجل ليذنب الذنب، فلا يزال نادمًا حتى يدخل الجنة، فيقول الشيطان: يا ليتنى لم أوقعه فيه.

وتسأل امرأة فتقول:

هل يشترط فى التوبة من المظلمة فى حق الغير من المسلمات بغيبة أو نميمة إعلامها؟.

والإجابة هى أن الذى عليه جمهور أهل اشتراط الإعلام لتصح التوبة، وذلك بشرط ألا يكون فى إعلامه مفسدة، وتأمنى من جانبها.

فإن خشيت من حدوث مفسدة من إعلامها، أو خشيت من قيامها بأعمال ضارة بك، والدليل على ذلك قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم قبل ألا يكون دينار، ولا درهم، إلا الحسنات والسيئات**»[١].

---

(١) حديث صحيح. أخرجه البخارى (٨/ ١٣٨)، وأحمد (٢/ ٥٠٦)، والبيهقى (٣/ ٣٦٩) فى سننه الكبرى.

فهـذا الذنب يتضـمن فيه حـقان، الحق الأول لله تعالـى، والحق الثانى لآدمى.

فالتوبة منه بتحلل الآدمى لأجل حـقه، والندم فيما بينه وبين الله لأجل حقه.

ولهذا كانت توبة القاتل لا تتم إلا بتمكين ولى الدم من نفسه، إن شاء اقتص، وإن شـاء عفا، ويرى شـيخ الإسلام ابن تيـمية -رحـمه الله- أنه لا يشترط الإعلام بل يكفى توبته بينه وبين الله، وأن يذكر المغتاب والمقذوف فى مواضع غيـبته وقذفه بضد مـا ذكره به من الغيبة، فـيبدل غيبـته بمدحه والثناء عليه، وذكر محاسنه وقذفه بذكر عفته، ويستغفر له بقدر ما اغتابه.

واحتج لذلك بأن إعلامه مفسدة محـضة لا تتضمن مصلحة، وما كان هكذا، فإن الشرع الإسلامى لا يبيحه فضلاً على أن يوجبه.

وتسأل إحدى المسلمات قائلة:

هل تعود التائبـة إلى مرتبتها أو درجتـها التى كانت عليها قبل المـعصية بتوبتها؟.

اختلف العلمـاء فى هذه المسألة، فـقالت طائفة: لا يرجع إلى درجـته وحـاله لأنه لم يكن فى وقوف، وإنما كـان فى صـعود، فـبالذنب صـار فى هبوط، فإذا تابت نقص عليه ذلك القدر الذى كانت مستعدة به للترقى وقالت طائفة: يـرجع إلى درجته لأن التـوبة تجب الذنب بالكليـة، وتصيـره كأن لم يكن، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحـمه الله-: والصحيح أن من التائبين من لا يعود إلى درجته، ومـنهم من يعود إلى أعلى منها فيصيـر خيرًا مما كان قبل الذنب، وكان داود عليه السلام بعد التوبة خيرًا منه قبل التوبة.

وهنا مثل مضروب: رجل مسافـر سائر على الطريق بطمأنينة وأمن فهو يعدو مرة، ويمشى أخرى، ويستريح تارة، وينام أخرى.

فبينمـا هو كذلك إذ عرض له فى سيره ظل ظليل، ومـاء بارد، ومقيل وروضة مزهرة فدعته نفسه إلى النزول على تلك الأماكن ، فنزل عليها فوثب عليه منهـا عدو، فأخذه، وقيـده، ومنعه عن السير فعـاين الهلاك، وظن أنه منقطع به، وأنه رزق الوحوش والسباع، وأنه قـد حيل بينه وبين مقصده الذى يؤمه، فبينما هو على ذلك تتقـاذفه الظنون، إذ وقف على رأسه والده الشفيق القادر فحل كتافه وقيوده، وقال له:

اركب الطريـق، واحـذر هذا العـدو، فـإنه على منازل الـطريق لك بالمرصاد، واعلم أنك مـا دمت حاذرًا منه، متيقظًا له، لا يـقدر عليك، فإذا غفلت وثب عليك، وأنا متقـدمك إلى المنزل، وفرط لك فاتبعنى على الأثر، فإذا كـان هذا السائر كيسًـا فطنًا لبيبًـا حاضر الذهن، والعـقل استقبل سـيره استـقبالاً آخـر، أقوى من الأول وأتم، واشتـد حذره، وتأهب لهـذا العدو، وأعد له عدته.

فكان سيره الثانى أقوى من الأول وخيرًا له، ووصوله إلى المنزل أسرع، وإن غفل عن عدوه، وعـاد إلى مثل حاله الأول من غيـر زيادة ولا نقصان، ولا قوة حذر، ولا استعداد، عاد كما كان وهو معرض لما عرض له أولاً.

وإن أورثه ذلك توانيًا فى سيـره، وفتورًا لم يعد إلى مـثل سيره ونقص كما كان(١).

وأخيرًا تقول المرأة:

هل للتوبة أنواع؟.

الإجابة هى أن التوبة نوعان: واجبة ومستحبة.

فالواجبة هى التوبة من ترك مـأمور أو فعل محظور، وهذا واجب على جميع المكلفين، كما أمرهم الله بذلك فى كتابه، وعلى ألسنة رسله.

---

(١) رسالة فى التوبة (ص/ ١١) لابن تيمية.

والمستحبة هى التوبة من ترك المستحبات، وفعل المكروهات فمن اقتصرت على النوع الأول من التوبة كانت من المقتصدات، ومن تابت التوبتين كانت من السابقات المقربات ، ومن لم تأت بالأولى كانت من الظالمات.

فجدير بكل مؤمنة أن تكون من المقتصدات إن لم تستطع أن تكون من السابقات، والشقاوة كل الشقاوة لمن رضيت أن تكون من الظالمات.

العودة إلى الله بقلبٍ منيب

أختاه..

إن كنت ألمت بذنب فأسرعى إلى التوبة ، والعودة إلى الله بقلب منيب، فهذا رسول الله ﷺ يقول لعائشة ﵂ عقب حادثة الإفك:

«إن كنت ألمت بذنب فاستغفرى، وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»(١).

«ألمت بذنب» أى: وقع منك على خلاف العادة، وهذه حقيقة الإلمام، ومنه قول الشاعر: ألمت بنا والليل مرخ ستوره.

وفى هذا الموقف دعوة من النبى ﷺ إلى عائشة ﵂ بالمبادرة إلى التوبة، والمسارعة إلى إصلاح القلب.

ولو تخيلت أنك قد ملكت كل ما تريدين من آمال، وأحلام، ووصلت إلى كل ما تريدين من أمنيات، ثم فجأة على بغتة منك ضاع كل شىء!.

ستحزنين، وتتحسرين، فما بالك بعمرك الذى يضيع منك ولا تشعرين؟!

إن عمرك جوهرة نفيسة لا تقدر بأى شىء من الأموال، فهذا العمر فى الحقيقة عبارة عن أنفاس نفس يخرج فنفس، ولا يعود إليك أبدًا حتى يخرج

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه البخارى (٦/ ١٣٠) ، ومسلم (١٧/ ١١).

آخر الأنفاس. وهذه الأنفاس، هى رأس مالك فى الدنيا تستطيعين أن تشترى بها ما تشاءين من نعيم الجنة، فكيف تضيعين ذلك العمر بلا توبة نصوح؟!.

إن ملك الموت إذا ظهر أمامك عند سكرات الموت سيظهر على وجهك من الأسف والحسرة، ما تودين معه لو كانت لك الدنيا بحذافيرها أن تفتدى بها نفسك، وما أنت على ذلك بقادرة، قال رب العالمين:

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

هذه أشد آية على التوحيد، لأنه لا يتمنى الرجوع فى الدنيا، أو التأخير فيها أحد له عند الله خير فى الآخرة.

أختاه..

تأملى فى تلك الآيات القرآنية السابقة تجدين الله تعالى يدعو أهل الإيمان إلى الإنفاق من الأموال من قبل أن ينزل بهم الموت، فيقول أحدهم إذا نزل به الموت:

يا رب... هلا أخرتنى.. فتمهل لى فى الأجل: (إلى أجل قريب فأصدق)، أزكى مالى، (وأكن من الصالحين)، وأعمل بطاعتك، وأؤدى فرائضك.

وقيل: عنى بقوله (وأكن من الصالحين)، وأحج بيتك الحرام.

وكل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئًا يسيرًا، ليستعتب ويستدرك ما فاته، وهيهات!!

---

(١) سورة المنافقون. ١٠، ١١.

أختاه..

أم المؤمنين «عائشة» رضي الله عنها قيل فى حقها مقالة سوء، قالها أصحاب السوء، فجاء إليها الرسول ﷺ، وقال لها تلك الكلمات التى مرت بنا، ولم يكن الوحى بعدُ قد نزل بتبرئة عائشة مما قيل فى حقها.

فيقول لها -عليه الصلاة والسلام-: «**توبى إليه**» فالتوبة كلمة فيها معنى الرجوع، والعودة، فإذا تابت المسلمة يعنى رجعت إلى طاعة ربها.

فهلمى أسرعى بالعودة إلى الله، أسرعى بالتوبة النصوح.

فآه لامرأة لا تعقل أمرها، وتجهل قدرها، فتضيع فى المعاصى عمرها، وتخوض فى الذنوب طوال حياتها!.

إلى متى تعصين، وإلى كم تتمردين؟! وأقبح من قبيحك أنك تتعمدين.

أما تخافين من أوعدك وهددك؟!.

ويا من شابت وما تابت، ويا مشترية لذة تزول بالعذاب السرمد ألا تفيقين وتعودين؟ آه لساعات شديدة الكربات، فيها غمرات ليست بنوم ولاسباب، تتقطع فيها الأفئدة باللوم على الفوات، وتبكى عين الأسف لما مضى من هفوات.

فآه ثم آه من جبال حسرات بحملها: ﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**﴾.

يكفيك ما مضى من القبائح، وابتلى اليوم هذه النصائح، فإن المسكينة من أهملتها: ﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**﴾.

واعجبًا لامرأة الموت موئلها، والقبر منزلها، واللحد مدخلها، ثم يسوء عملها. ﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**﴾.

كم من قـاطعة زمانـها بالتـسويف، تتـمنى العودة إذا رأت نفـسهـا ما يذهلها: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾.

وكم من مشغـولة بالقصور تعمرها، ولا تفكر فى القـبور ولا تذكرها، تبيت الليالى فى فكر الدنيا تسهرها، وتجمع الأموال إلى الأموال تثمرها، وقد وقعت فى أشراك المنايا، وهى لا تبصرها.

فأف لدنيا هذا آخرها، وآه لأخرى هذا أولها.

﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾.

خاتمة

دعاك إلى العودة مولاك

أختاه..

لقد دعاك إلى التوبة مولاك، وفتح لك باب الإجابة، ثم وفقك فهداك فهلا أقبلت إلى مغفرة من ربك ورضوان، وجنات ذات أنهار؟!

هلا أقبلت إلى عيش مع التائبات الصادقات؟!

فهلمى -أختى المسلمة- إلى التوبة من الذنوب جميعًا، صغارًا كانت أو كبارًا.

فإن التوبة من الذنوب، والرجوع إلى ستير العيوب، وعلام الغيوب، واجبة على الفور والدوام.

ولم لا؟! والتوبة النصوح هى طريق السالكات إلى ربهن، وزاد المؤمنات فى آخرتهن، ورأس مال الفائزات فى دنياهن.

فما نجت من نجت فى يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة إلا بالتوبة الصادقة.

ولذا كانت نساء السلف الصالح من الصحابيات والتابعيات مع ما هن عليه من علم وعمل، وزهد وورع، كانت الواحدة منهن تحسن توبتها إلى الله بالعمل الصالح.

فكانت الواحدة منهن لا تنام من الليل إلا قليلاً، وتستغفر بالأسحار كثيرًا، وما كان ذلك منها إلا لعلمها أنها مهما فعلت من طاعات كثيرة فلابد

فيها من التقصير والتفريط، حتى أن الواحدة منهن كانت تقول عقب قيامها بالطاعة:

«استغفارنا يحتاج إلى استغفار».

وتقول الأخرى، بعد اجتهادها فى الأعمال الصالحة: طوبى لمن صحت لها خطوة لا تريد بها إلا وجه الله تعالى.

أختاه..

هيا أسرعى، وعودى إلى الله تعالى بنفس صافية، وخالية من الحقد والحسد، بعيدة عن الرياء والغرور، والعجب والكبر حتى تفوزى بالدنيا والآخرة.

هلمى إلى التوبة الصادقة بالإقلاع عن المعاصى والآثام.

هلمى إلى التوبة الصادقة بالندم على المعاصى الماضية.

هلمى إلى التوبة الصادقة بالعزم على عدم العودة للخطايا مرة ثانية.

هلمى إلى التوبة الصادقة برد الحقوق إلى أهلها.

أختاه..

لو رأيت التائبة الصادقة لرأيت جفونًا مقروحة، وأبصرتها فى الأسحار، وهى تستغفر للملك القهار لكأنها تقول لك:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾(١).

مطعمها يسير، وحزنها كثير، وأتعب قدميها القيام بين يدى الرحمن وأنحل بدنها كثرة الصيام، فبذلت جسدًا وروحًا:

---

(١) سورة التحريم: ٨.

﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾.

أختاه..

وفي الختام أقول لك: قد ذهبت الأيام، وكتبت الآثام، وإنما ينفع الملام حين اليقظة والسلام.

والحمد لله أولا وآخرًا

وعلى رسوله مصليًا ومسلمًا



الفهرس العام

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــــــــــوع	الصفحة



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
٥٩٠٤١٧٥ ٥٩٢٢٤١٠